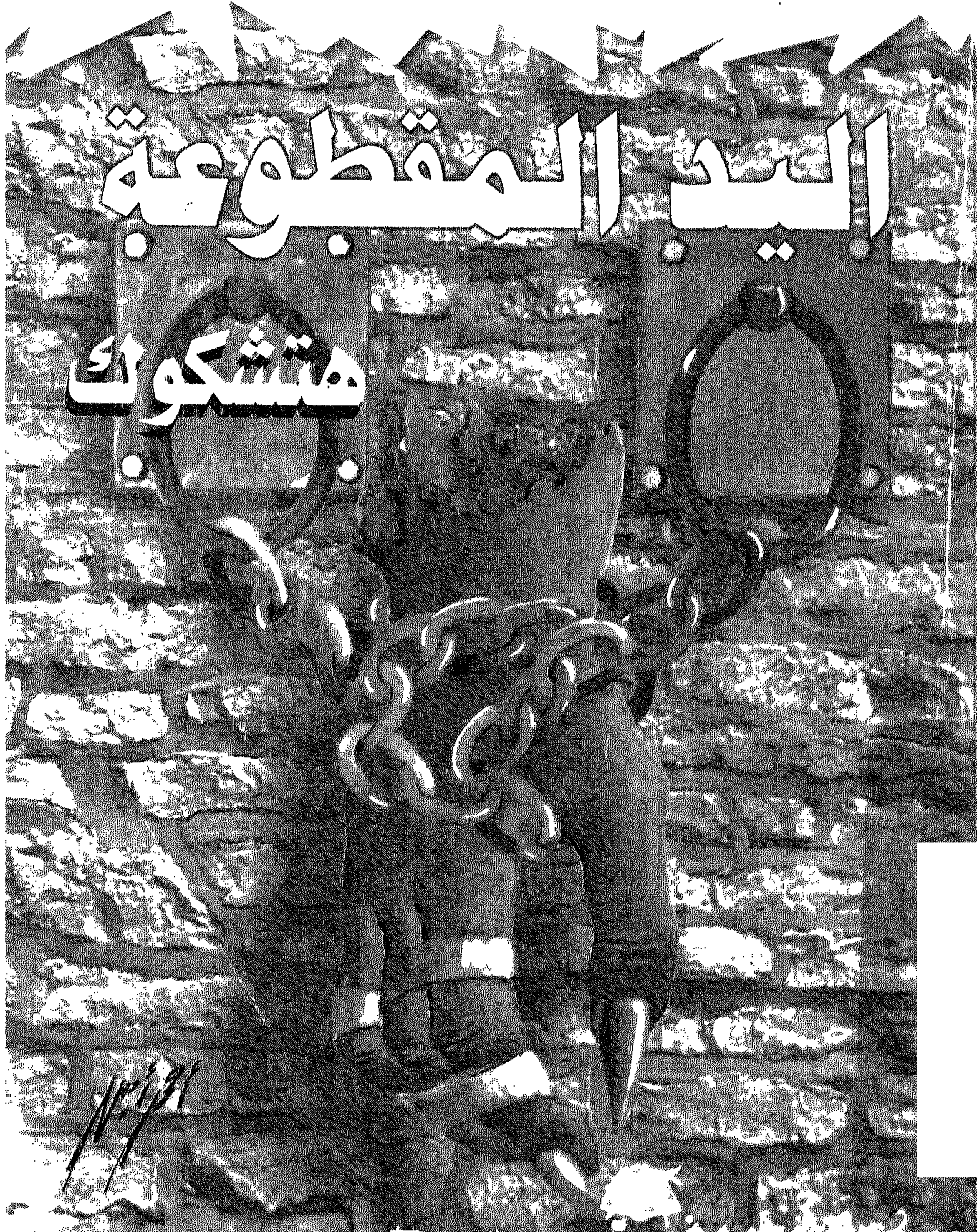


روائع القصص الجبروتية

اليد المقطوعة


مشكوكة



روائع القصص البوليسية

اليد المقطوعة

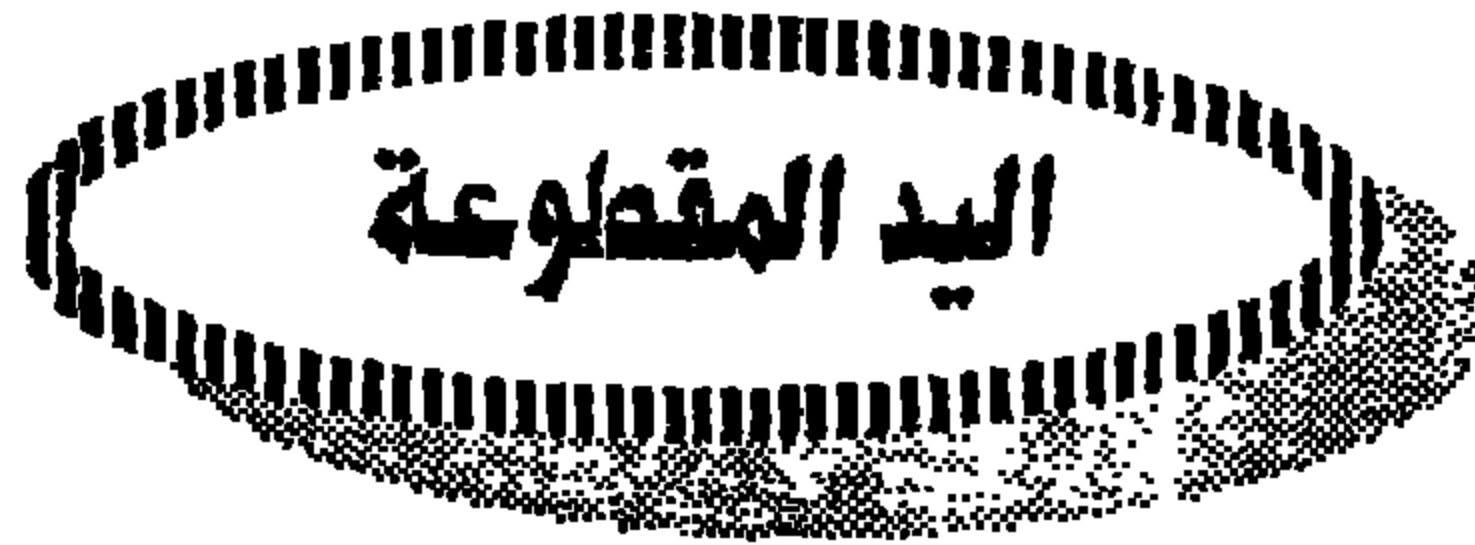
محمد عبد المنعم جلال

 مكتبة معروف

الإسكندرية، ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦٣٢٥ / فاكس ٤٨٦٠٠٨٩

القاهرة، ٢٦١١٢٢٩ ص.ب. ١٢٧٠ الإسكندرية

جميع حقوق الطبع محفوظة
للمركز العربي للنشر بالاسكندرية
معروف أخوان



اجتمع القوم حول مسيو برهوتيه ، قاضى التحقيق الذى راح يدلى بوجهة نظره فى جريمة سانت كلود الغامضة ، تلك الجريمة المستغلقة التى روعت أهالى باريس ومازالت تروعهم منذ شهر نون أن يجدوا لها حلاً أو تفسيراً .
ووقف مسيو برهوتيه مولياً ظهره للمدقاة وراح يتكلم فيدحض الأدلة ويمحص الآراء المختلفة من غير أن يبت برأى ما .

ونهضت بعض النسوة واقتربين منه ورحن يصغين إليه فى اهتمام وقد تملكن الخوف والانفعال ، وقالت إحداهن وكانت أكثرهن شحوباً :
- هذا مروع .. غير مألوف .. خارق للطبيعة .. لن نعرف له تفسيراً .

تحول القاضى إليها وقال :

- هذا صحيح يا سيدتى .. من المحتمل أننا لن نعرف شيئاً أبداً ..
ولكن عبارة خارقة الطبيعة التى نطقت بها لا محل لها هنا ، فنحن أمام جريمة دبرت بإحكام ونفذت بكل دقة ويكتنفها الغموض من كل جانب بحيث لن نستطيع استجلاء الحقيقة من الظروف والملابسات المحيطة بها ، على

أننى أذكر أننى تتبعت فيما مضى قضية كانت غريبة حقاً وبدت كئن الخيال
قام فيها بدور كبير واضطربنا إلى التخلّى عن استجلاء غوامضها لأنها
استعصت علينا وبقيت مستغلقة حتى يومنا هذا .

صاحت بعض النسوة فى صوت واحد :

- أوه ، حدثنا عنها .

ابتسم مسيو برموتيه فى شىء من الجد كما ينبغى لقاضى التحقيق أن
يفعل واستطرد يقول :

- لا يخطرن ببالكن أنتى ظننت لحظة واحدة أن فى هذه القضية شيئاً
شاذاً أو خارقاً للطبيعة فأتا لا أومن بمثل هذه الأشياء ، ولكن إذا استبدلنا
عبارة " خارقة للطبيعة " بكلمة " مستغلق " لكان هذا أوفق .. وعلى كل فإن
ما أثارنى فى تلك القضية التى سأسسطها لكم الآن إنما هى الظروف
المحيطة بها والممهدة لها وإليكن الحقائق .

" كنت فى ذلك الوقت قاضياً للتحقيق فى مدينة أجاكسيو ، وهى مدينة
صغيرة بيضاء تقع على ساحل خليج جميل تحيط به الجبال الشامخة " .

وكانت القضايا التى تعرض على فى تلك المدينة جلها إن لم يكن كلها
من قضايا الانتقام والأخذ بالثأر ، وكلها قضايا مشحونة بالفظاعة
والوحشية وبعضها يتسم بالبطولة ، وإذا نحن درسنا تلك القضايا لوجدنا
فيها أجمل أنواع الأخذ بالثأر إلى جانب الاحتقار والأحقاد والحيل الغريبة
التي ينسب أصحابها المذابح التى تقع بكثرة أى نوع من أنواع البطولة ،
وقد قضيت فى المدينة سنتين لم أسمع فيهما إلا الحديث عن صوت الدم
والانتقام لكل إهانة مهما صغرت ، ورأيت شيوخاً تقتل أطفالاً تنبح ،

وامتلأت رأسى طوال هاتين السنتين بأنواع غريبة من هذه الجرائم .

ويبلغ إلى سمعى ذات يوم أن إنجليزياً قد استأجر لبضع سنين قتيلاً صغيرة تقع فى آخر الخليج وأنه أتى معه بخادم فرنسى جاء به من مارسيليا .

ولم يلبث هذا الغريب أن شد اهتمام الأهالى إذ كان يعيش فى القيتلا بمفرده ، لا يغادرها إلا للصيد والقنص ، ولا يزور ولا يزار ولم يفد إلى المدينة ولا مرة واحدة .

وكان يتمرن كل يوم ساعة أو ساعتين على إطلاق الرصاص من مسدسه أوبندقته .

وتجمعت حوله بعض الأساطير ، فقليل إنه شخصية هامة هرب من وطنه لأسباب سياسية ، وقليل إنه إنما جاء ليعيش فى تلك البقعة النائية متخفياً بعد أن ارتكب جريمة بشعة ، بل إن البعض راحوا يذكرون عنه مالبسات غاية فى الفظاعة .

وأردت بصفتى قاضياً للتحقيق أن أجمع بعض المعلومات عن هذا الرجل ولكن تعذر على أن أعرف عنه شيئاً على الإطلاق فيماعد أنى كان يدعى سيرچون روىلى .

وقنعت بمراقبته عن كئيب ، ولكن لم يصدر منه ما يحمل على الشك فيه أو الارتياب فى أمره .

ومع ذلك فقد زادت الإشاعات عن ذى قبل حتى أصبحت عامة يتناولها الجميع ، واستقرت نيتى على أن أرى ذلك الرجل فأخذت أصطاد بجوار أملاكه بانتظام .

وانتظرت طويلاً إلى أن سنحت لى الفرصة فقد أطلقت الرصاص ذات يوم على أحد الطيور وأصوبته فى مقتل أمام بصر الإنجليزى ، وأسرع كلبى فأتانى بالطير ولكننى أخذته وقصدت الرجل وأبديت له اعتذارى لاصطيادى فى أراضيه وعرضت عليه أن يقبل الطير الذى اصطدته هدية منى .

وكان رجلاً مهيباً ذا شعر أحمر ولحية حمراء ، طويل القامة مفتول العضل كواحد من هؤلاء الهراقلة المتزنين المهذبين .. ولم يكن فى ملامحه شىء من تلك الصلابة التى اشتهر بها الإنجليز وشكرنى فى حرارة لئدية اللطيفة ، ولم يمر بنا شهر حتى كنا التقينا خمس أو ست مرات .

وأخيراً وبينما كنت أمر ذات ليلة أمام بيته رأيت جالساً فى الحديقة يدخن غليونه ، ودعانى لكى أتناول معه كأساً من البيرة وقبلت دعوته على الفور .

واستقبلنى فى رقة وحدثنى عن فرنسا وكورسيكا وقال لى إنه يحب هذه البلدة الأخيرة حباً كثيراً .

وألقيت عليه عندئذ بضعة أسئلة عن حياته وعن مشاريعه فى حرص وحذر ولكنه أجابنى فى صراحة وبدون ارتباك شذكر لى أنه تنقل كثيراً فى أفريقيا وأمريكا وأردف يقول ضاحكاً :

– وقد وقعت لى مغامرات كثيرة .. نعم ، كثيرة .

ثم طرقتنا باب الصيد فتحدث فيه فى طلاقة مقدماً لى أدق التفاصيل عن صيد فرس البحر والنمر والفيل والغوريلا أيضاً ، وقلت أشجعه :

– كل هذه الحيوانات شديدة الخطر .

فابتسم وقال :

- أوه ، هى حقاً شديدة الخطورة ، ولكن خطرهما لا يعد شيئاً إذا قيس
بخطر الرجال .

وضحك من سويداء قلبه ثم أردف :

- وقد اصطدت عدداً كبيراً من هؤلاء .

ثم تطرق بنا الحديث بعد ذلك إلى الأسلحة وأنواعها وتقدمنى إلى غرفة
الاستقبال لكى يرينى مجموعة منها .

وكانت غرفة الاستقبال مجللة بالسواد وتغطيها ستائر من الحرير الأسود
المطرز بالذهب وقد رسمت عليها زهور صفراء راحت تومض وميض النار .

وقال وهو يرانى أطيل النظر إليها :

- كانت هذه ملاعة يابانية فى الأصل .

ولكن جذب اهتمامى شيء آخر غريب فى منتصف أكبر لوح من الألواح
الخشبية التى تكسو جدران الغرفة ، ففوق قطعة من المخمل الأحمر رأيت
شيئاً أسود اقتربت منه فى فضول وتبينت فيه يداً آدمية ، لم تكن يداً بيضاء
فطبيعة لهيكل عظمى ، بل يد سوداء متيبسة لها أظافر سوداء وعضلات
متنافرة وعليها آثار دم قديم .. دم بدا أشبه بشيء قذر عند العظم المبتور
الذى بدا بتره كما لو كان ناجماً عن ضربة فأس بعد الرسغ بقليل ، وحول
الرسغ نفسه سلسلة حديدية ضخمة تربطها بالحائط حلقة متينة يعجز عن
خلعها الفيل نفسه ، وسألته :

- ما هذا ؟

فأجاب الإنجليزى فى هدوء :

هذا هو عدوى اللود .. أقبل من أمريكا وقطعت يده بالسيف ونزعت الجلد بحجر قاطع وجففتها في الشمس ثمانية أيام .

ولمست ذلك الحطام البشري الذي كان ملكاً ذات يوم لرجل عملاق ، كانت الأصابع طويلة ، وقد ضمت إلى بعضها البعض بأشرطة من الجلد ، وكان منظرها بشعاً يبعث الاشمئزاز والنفور إلى النفس ، وتوحى بأنها قطعت بدافع انتقام وحشى .

وقلت

- لا ريب أن صاحب هذه اليد كان رجلاً قوياً .

فأجاب الإنجليزى فى رقة :

- آه ، نعم ، ولكننى كنت أقوى منه ، وقد وضعت هذه السلسلة كى لا تهرب منى .

وظننت أنه يمزح فقلت :

- ولكنها عديمة النفع ، فإن اليد لن تهرب .

ولكن الإنجليزى قال بلهجة الجد :

- كانت تريد الهرب ، وكان لابد لهذه السلسلة .

نظرت إليه نظرة سريعة مستفهماً وأنا أسائل نفسى أهو مجنون أم تراه يمزح ؟ بيد أن ملامحه ظلت هادئة واحتفظت ببشاشتها ، ورأيت أن أغير الحديث فأبدت إعجابى بالأسلحة .

ولاحظت أن هناك ثلاث مسدسات محشوة وموضوعة فى أماكن متفرقة من الغرفة مما يدل على أن ذلك الرجل كان يعيش فى خوف دائم من هجوم

مفاجئ .

وعدت إلى مسكنه مراراً ثم انقطعت عن زيارته بعد أن اعتاد الناس عليه ولم يعد مثار إهتمامهم .

ومرعام ، وذات مساء من أواخر نوفمبر أيقظني خادمي وهو يقول إن سير چون رويلى لقي حتفه غيلة أثناء الليل .

وبعد نصف ساعة كنت قد بلغت مسكن الإنجليزى ورفقتى قوميسير البوليس ورئيس الشرطة ، وكان الخادم ييكى بالباب وهو شارد اللب ، وقد اشتبهت فيه فى بادئ الأمر ولكننى لم ألبث أن أيقنت أنه برئ .

ولم نعثر على الجانى أبداً .

وعندما دخلت غرفة الاستقبال رأيت لأول وهلة جسد چون رويلى مسجى على ظهره فى وسط الغرفة .

كان الصديرى ممزقاً وقد انتزع أحد كمييه إنتزاعاً ، كان كل شيء فى الغرفة يدل أن معركة رهيبة قد دارت بها .. وأسفر التحقيق على أن الإنجليزى لقي حتفه خنقاً ، وكانت ملامحه ووجهه الأسود المنتفخ يدلان على أنه شهد شيئاً أثار فزعه ورعبه إلى حد كبير ، وكان يضغط بين أسنانه على شيء ، وبدت بعنقه آثار ثقوب خمسة كما لو أن أصابع من فولاذ قد التقت به وظلت تضغط وتضغط حتى انبثق الدم .

ولحق بنا الطبيب الشرعى وفحص تلك الآثار فحصاً طويلاً ثم نطق بهذه الكلمات الغريبة

- يبدو كأن هيكلأ عظمية قد خنقه .

سرت الرعشة فى بدنى ونظرت إلى الحائط ، إلى المكان الذى سبق أن رأيت اليد معلقة به فلم أجدها ، ورأيت السلسلة مدلاة وقد تحطمت .
وانحنيت فوق الرجل الميت عندئذ ، ورأيت بين أسنانه أحد أصابع اليد المختفية وقد قطعها بأسنانه عند المقطع الثانى .

وقمنا بتحقيق دقيق ولكننا لم نهتد إلى شىء ، كانت الأبواب مغلقة وغير محطمة ، وكذلك كانت النوافذ ، كما أن الكلبين اللذين يقومان بالحراسة لم يصبهما شىء مما يدل دلالة قاطعة على أنهما لم يتنبها إلى حدوث شىء .

والىكن أقوال الخادم فى كلمات موجزة :

بدا الانفعال على سيده منذ نحو شهر ، وجاءته خطابات كثيرة كان يحرقها أولاً بأول ، ولكنه كان على أثر كل خطاب فيها يتناول سوطاً كبيراً ويمضى إلى حيث اليد المتبيسة المعلقة التى اختفت ذلك الإختفاء الغريب بعد وقوع الجريمة ، فيضربها ضرباً مبرحاً وهو فى ثورة كبيرة من الغضب والهياج .

وكان يأوى إلى فراشه بعد ذلك فى وقت متأخر بعد أن يحرص على غلق الأبواب والنوافذ فى عناية فائقة وفى يده مسدسه .

وكان كثيراً ما يتكلم بالليل بصوت عال كما لو كان يتشاجر مع أحد .

وفى ليلة الجريمة لم يصدر منه أى صوت ، وعندما جاء الخادم ليفتح النوافذ فى الصباح وجد سيده سيراً حزيناً ولم ترق شكوكه إلى أحد .

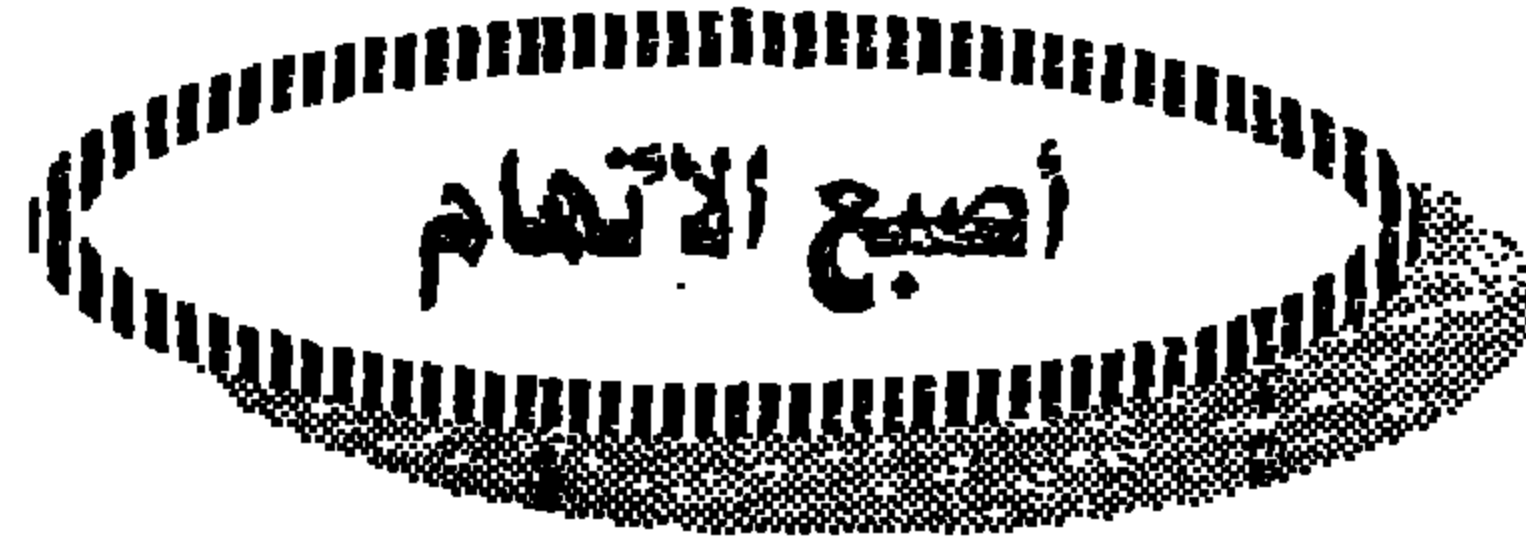
وأطلعت المحققين على ما أعرفه وقمنا بالبحث والاستقصاء فى أنحاء الجزيرة ولكننا لم نكتشف شيئاً ما .

ولكن فى إحدى الليالى ، بعد وقوع الجريمة بثلاثة أشهر رأيت كابوساً مخيفاً مروعاً ، فقد خيل لى أننى أرى فى منامى اليد البشعة تجرى كالعقرب أو كالعنكبوت على ستائر غرفتى وجدرانها ، وهبت من نومى مذعوراً ثلاث مرات وعدت إلى النوم ثلاث مرات ، ورأيت اليد البشعة ثلاث مرات وهى تجرى فى أرجاء غرفتى محرقة أصابعها كمخبط حيوان هائل . وفى اليوم التالى جاعونى بها ، وقد عثروا عليها فى المقبرة فوق سير چون روىلى الذى دفن فى المدينة لأننا لم نستطع الاعتداء إلى نوبه . وكان المقطع الأول من إصبعها السبابة ناقصاً .

هذه هى قصتى يا سيداتى ، ولا أعرف عنها أكثر من ذلك . ذهلت السيدات وشحبت وجوههن وتملكتهن الدهشة وصاحت إحداهن : - ولكن هذه ليست نهاية وليست تفسيراً ، لن يفمض لنا جفن ما لم نقتل لنا ما حدث كما تعتقده أنت .

ابتسم القاضى فى صراحة وقال : - أوه ، إننى سأفقد عليك أحلامكن حقاً يا سيداتى ، ولكننى أعتقد أن صاحب اليد الشرعى لم يكن قد مات وأنه أقبل لى يبحث عنها بيده المتبقية ، غير أننى لا أعرف ماذا فعل بالذات .. فيما عدا أن هذا نوع من الانتقام .

هتفت إحدى السيدات : - كلا ، لا يمكن أن يكون الأمر كما تقول . اختتم القاضى حديثه قائلاً وهو لا يزال يبتسم : - ألم أقل لكن إن تفسيرى لن يرضيكن .



الفود والسحر والعظام المسحورة وما شابهها لا تعترف بها مدينتنا ،
ومع ذلك فإن قليلين منا يوبون لو أن تشير ساحرة إلينا بأصبعها وتتنبأ لنا
بأننا سوف نموت قبل غروب الشمس .

وبعد أن تلا جيمس واطسون الوصية علينا والقاهما فوق المكتب أمامه
وقال :

- إن عمكم كان يحب هذا المكان كثيرا ، وقد خطر له أنه إذا أقام أولاد
إخوته فيه سنة كاملة فربما يحبه أحدهم بدوره وتطيب له الإقامة فيه ويحافظ
على حالته الحاضرة ..

عبس أورفيل كراوفورد وقال :

- سنة في هذا البيت نحن الثلاثة .. هذا محال .

وقال فريدي :

- إن كلا منا يكره الآخر وكان يتتاني يعرف ذلك سنقتل بعضنا البعض
قبل أن تمر السنة ..

قال واطسون :

- ومع ذلك فان الوصية تنص على أنه لابد لكم من البقاء معا في هذا البيت سنة بتمامها وأنه إذا فشل احدكم في تنفيذ الشروط المذكورة فإن التركة توزع في آخر السنة بين الاحياء ..

وأسرع يقول مصححا :

- بين الباقيين .

وكان هناك نص آخر على جانب كبير من الأهمية رأى واطسون ان يعيده على أسماعنا فقال :

- واذا لم يستطع احدكم البقاء في هذا البيت كما هو مذكور لسبب من الأسباب فان التركة تؤول عندئذ إلى امانتا ديفونتتين .

وطبعا نظرنا كلنا الى امانتا عندئذ .. كانت سمراء الشعر أطول من المعتاد بقي وجهها محتفظا بهيئته ونحن ننظر اليها ، كانت تشرف على البيت طوال الشهور الأربعة التي سبقت موته وكان من العسير ان نهرسناها ولكنني ظننت انها في الثلاثين وظننت إنني رأيت وميض ابتسامتي عينيها السوداويين تحولت الى واطسون وقلت :

- هل شرحت جثة عمي بعد موته ؟

وجاء الرد على مضض :

- نعم ..

- هل من العادة بتشريح الجثث عند الوفاة الطبيعية .. الطبيعية تماما ؟

نظرت إلى أمانتا ، فخيل لي أنني ألمح شبه ابتسامة لم تلبث أن اختفت.
وأنا وفريدي وأورفيل نمت بصلة القربى للعم بنتاني ، ولكننا لسنا أولاد
أخوته ولاحتى أولاد أعمامه ، وليس فينا من يحمل اسم كرافورد غير
أورفيل .

وأورفيل له شعر أملس غير مجعد ومتفرق ، وهو مدير شركة تخصصت
في جميع الديون شبه الميته بنيو أورليانز ويوجد متعة كبيرة في عمله وخلا
أيامه الأولى في الشركة عضته الكلاب أكثر من مرة .

أما فريدي ميريديت فكان يرتدي جاكتا رياضيا وريطة عنق ثمينة وهو
مدرس للفنون الجميلة في كلية صغيرة للبنات وقلائل الذين يعرفون أن
زوجته ماتت قضاء وقدرًا وإن التيار صعقها وهما يستحمان في البانيو ..
وكنت قد بلغت سن الأربعين في ذلك الوقت وإن كان معارفي واصدقائي
يقولون ..

– أنني أبدؤ أكبر سنا ، وقد ورثت عن أبي ميراثا صغيرا سمح لي بأن
أعيش في بحبوحة من العيش دون أن أمارس أى عمل .
مسح أورفيل نظارته وقال :

– لا أرى كيف أستطيع أن ابتعد عن الشركة سنة كاملة .

قال فريدي بدوره :

– لا أدرى كيف أستطيع الحصول على أجازة سنة .. سيطرديونتي من
غير شك ولكن أظن أن إحدى تلميذاتي قد تستطيع مساعدتي .. وتتهد ولكن
كانت هذه علامات روتينية للاحتجاج ولم أشاركهما احتجاجهما ففي سبيل

حصّة قدرها مليون من الدولارات يمكن للمرء أن يضع العمل جانبا وان يهتم بزوجته ، حتى ولو كانت مستبدة ، أو بحريته .

وقلت أخاطب أمانتا :

- سأنتقل انا وادجرتون الى الجناح الشرقى بالدور الثانى .

وعندما غادرتنا لاعداد الجناح المذكور تحول فريدى الى واطسون ساخطا وقال :

- لماذا ذكرها عمى بنتانى فى وصيته ، انها لم تبق معه غير أربعة شهور ولا إخالك تعتقد انهما كانا .

قال واطسون :

- لا أدرى .

ولكننى لم أظن ذلك فطبقا لمعلوماتى كان العم بنتانى لا يحجم أو يتورع عن شىء ولكننى استبعدت أن تكون أمانتا عضوا فى علاقة كهذه .

وسأله أورفيل :

- ومن هى أمانتا ديفونتين ؟

وضع واطسون أوراقه فى مظروف متين والمظروف فى حافظة أوراقه ثم سعل وقال :

- إنها قائلة اطلق سراحها ، وهى تحت المراقبة .

واستطرد يقول :

- يبدو أن مسز ديفونتين ، وقد اختارت الابقاء على اسم الزوج الذى

قتلته ، يبدو انها تزوجت وهى فى السابعة عشرة وكان مستر ديفونتين أكبر منها سنا بكثير واعتقد انه كان فى الخمسين وقد مات بعد زواجه بثلاثة شهور ، واصر أقاربه على تشريح جثته وقد ثبت من التشريح انه مات مسعوما .. وعند استجواب مسز ديفونتين اعترفت بأنها اعطته الجرعة القاتلة .

ويتاول واطسون قبعته وأردف :

– وقد قضت فى السجن اربعة عشر عاما واطلق سراحها منذ ثمانية شهور على وعد ، وهى تحت المراقبة .

قال أورفيل غير مصدق :

– والحقها العم بنتانى بخدمته ؟ .. ألم يعرف ما فعلت ؟

– حسنا .. إحقاقا للحق .. أشعر .. بأنه بحث عن امرأة مثلها بالذات .. هكذا قال .

هنأت العم بنتانى كما هنأت ذهنه الصغير العملى .. لا ريب أنه يضحك بينه وبين نفسه الآن حيث هو ، اذا كان قد تأقلم بالمكان الجديد الذى يقيم به .

كان العم بنتانى يمقتنا ، ربما لا لسبب آخر فيما عدا أنه كان ثريا بما فيه الكفاية لى يمقت كل شخص آخر غيره . . كان فى مقدوره لو أنه شاء أن يوصى بأمواله كلها للجمعيات الخيرية هذا إذا كان يثق بوجودها ، ولكن مثل هذه الوصية من الممكن الطعن فيها .. وهكذا بدا لى أن العم بنتانى اضطر ان ينحنى لما لا بد منه ولكنه أثر أن يكيفه وفق هواه .

وشحب وجه فريدى وقال :

– هل تعنى انه لا بد لنا أن .. نتناول طعامنا هنا ؟ وان نأكل ما تطهوه
لنا هذه المرأة ؟

قال واطسون فى رفق :

– ان مسز ديفونتين لا تقوم بطهى الطعام .. هناك خدام متخصصون
لذلك .. ان عملها يقتصر على الاشراف على البيت وتدير شئونه فحسب .
ومع ذلك .. واذا ما وقعت ظروف مشبوهة فسأطلب بتشريح الجثة طبعاً .

قال أورفيل فى قوة :

– سأطردها حالا .

ابتسم واطسون وقال :

– ولكنك لا تستطيع فان الوصية تنص على وجوب بقائها للاشراف على
البيت لمدة سنة كاملة بعد موته وإلا حرمتم كلكم من الميراث .

وعندما انصرفت صعدت إلى مسكنى ووجدت أمانتا ترشد خادمتين فى
إعداده .. وخاطبتها قائلاً :

– اننى أفضل دائماً أن اتناول طعام الإفطار فى غرفتى وسيهبط
أدجرتون كل صباح لكى يأتينى به .

– ولكن يمكننى ان ابعث به اليك .

– شكراً لك .. ولكن أدجرتون وحده يعرف كيف يعد لى القهوة كما
أريدها .. ثم انه سيهبط على كل حال .

ونظر كل منا الى الآخر على المكشوف .. وأخيراً ابتسمت ابتسامة باهتة

وقالت :

- هل يتذوق ادجرتون طعامك قبل أن يتناوله ؟

والحق يتعذر على ان أصفها .. اذا قلت انها مليحة فان الكلمة أقل من أن تقى بما أريد أن أقول واذا قلت انها جميلة فأننى أغالى ولكنها كانت على كل حال مخلوقة غريبة تتمتع بخليط من الجمال والذكاء قل ان يجتمعا معا .
وقلت :

- فيما عدا اعداد القهوة فأننى اترك لك حرية اعداد الطعام مع اللحم والبيكون أما مع الأصناف الأخرى فيكفينى عصير البرتقال .
ومهما كانت الظروف فأننى لا أقبل أن أتناول السمك فى أول وجبة من الطعام .

وفى العشاء ، فى تلك الليلة رفعت ملعقة الشورية إلى فمى عندما استوقفنى أورفيل قائلاً :

- لحظة واحدة يا تشارل .

قلت :

- نعم ؟

رأيت أن أورفيل وفريدى لا يبدو عليهما انهما راغبان فى الاكل وأشار أورفيل بيده الى المائدة وقال :

- كيف يمكن أن نطمئن الى أن كل هذا .. غير مؤذ ؟

نظرت إلى ملعقة الشورية وقلت :

- لا أظن أن أمانتنا تفكر فى تسميمنا فى أول ليلة نقضيها هنا .

ولكن أورفيل لم يطمئن وقال :

- لا أدري .. ولكنني واثق ان أكثر القاتلات لا يُستخدمن ذكاهن .. لقد تحدثت أنا وفريدي في هذا الشأن واستقرت نيتنا على إجراء وقائي .

وفي هذه اللحظة أقبلت أمانتا لكي ترى ان كان لا ينقصنا شيء وقالت :

- هل كل شيء على ما يرام ؟

ابتسم أورفيل وقال :

- كنا نهم باستدعائك .. نريد ان نتحدث معك في شيء مهم .

- وما هو ؟

راح أورفيل ينتقى كلماته فقال :

- مسز ديفونتتين .. ألا تظنين ان مائة وخمسين ألف دولار في اليد أحسن من السجن فوق الشجرة ؟

قال فريدي :

- إن ما يقصده أورفيل هو أن كلا منا على استعداد لان يمتحك خمسين ألف دولار في آخر العام .

حك أورفيل يديه وقال :

- مهما يكن فانك اخلصت في عملك كمشرقة ومديرة للبيت لمدة - أربعة شهور - وعرفانا منا بجميلك نرى ان نمنحك مكافأة صغيرة .

ابتسمت أمانتا ابتسامة فاترة و استطرده أورفيل :

- لنواجه الحقائق يا مسز ديفونتتين اذا بقينا كلنا على قيد الحياة .. أو

حتى اذا بقى منا واحد فقط فانك لن تحصلى على شىء من تركة العم
بنثنانى .. ولا سنت واحد ، نرى أن هذا ليس عدلا .

كانت عينا أمانتا تضحكان واسرع أورفيل يقول :

– والمائة والخمسون ألف دولار ملك لك دون قيد أو شرط .

وقال فريدى معقبا :

– وهذا المبلغ فى انتظارك لن تشعري بأى ميل فى .. فى أن تجازفى
فى الجلوس على الكرسي الكهربائى .. بأن تقدمى على عمل طائش .

ابتسمت أمانتا وقالت :

– هل ستعطينى خمسين ألف دولار يا مستر كراوفورد ؟

قال أورفيل :

– اعدك بذلك .

تحولت الى فريدى وسأله :

– وانت ؟

– بالطبع فاننى لا أريد أن أموت مسموما أنا الآخر .

ونظرت الى عندئذ فقلت :

– كلا . والآن ، اذا لم يكن هناك اعتراض فسوف أكل .

عبس فريدى وقال :

– حسنا يا تشارل .. انت وحظك .. ولكن لا تنتظر أى عطف منى أو من

أورفيل عنهما تقع تتلوى من الألم على الأرض .

تحولت أمانتا لكي تنصرف .. ولكن أورفيل احتجزها وهو يشير الى
المائدة قائلاً :

- لحظة واحدة .. ألا تريدان أن تعيدى شيئاً إلى المطبخ .. أعنى ..
ربما هناك فى السلطة شيء مضر .

- كل شيء على ما يرام يا سيدى .

سرت نفحة من الالهام فى رأس فريدى فقال :

- ! اذا لا تأكلين معنا يا مسز ليفونتين ؟ .. أعنى كل شيء نأكله ..
إننا لسنا متعجرفين ، أليس كذلك يا تشارل ؟

اعتلجت شفقتا أمانتا وقالت :

- هل لديك أى اعتراض على ذلك يا مستر ويكر ؟

أجبت :

- أبدا .. أرجو ان تتضمنى إلينا .

ومنذ ذلك اليوم وأمانتا تأكل معنا .

وخلال الاسبوع التالى احضرت وأورفيل وفريدى حاجياتنا الشخصية
وتقلناهما ، كل منا الى غرفته وقد صبح منا العزم على قضاء السنة فى البيت
كل منا على طريقته الخاصة .

وفى ليلة ممطرة بعد شهر من ذلك قال فريدى :

- هل تعلمان أن هذه المنطقة مشهورة بممارسة الفوبو .

ضحك أورفيل ساخراً وقال :

- ان الرجل المثقف لا يؤمن بمثل هذا السخف .
- ولكن فريدى عاد يقول :
- اذا اشارت ساحرة بأصبعها إليك فستموت عند غروب الشمس .
- تأوه أورفيل وقال :
- أرى الآن ان امانتا ليست الشخص الوحيد الذى .. الذى نخشاه معا..
- تأمله فريدى لحظة ثم قال :
- ماذا تعنى ؟..
- أعنى أن من المحتمل أن أحدنا غير قانع بنصيبه من التركة ..
- قال فريدى بون أن يرفع بصره إنتى سعيد جدا بمليون دولار .
- نظر أورفيل اليه فى حدة وقال :
- إن الجريمة يمكن أن تصبح عادة .
- ابتسم فريدى وقال :
- ان المرأتين العزيزتين ماتتا قضاء وقدر ، كانت كل منهما تحب الاستماع الى الموسيقى وهى تستحم ، وقد وقع جهاز الراديو فى البانيو ..
- وتنهده وهو يقول مستطردا :
- وقد كذبت كل منهما على فلم تترك لى شيئا .. لم تترك لى أى شئ على الإطلاق .
- وفى أصيل ذلك اليوم دخل أورفيل غرفة المعيشة وقد شحب لونه وراح

يلهث بشدة ، ومضى الى البوفية فأخذ كأسا من الويسكى احتساها جرعة واحدة ثم تحول إلينا وقال :

- انها أشارت الى ..

رفعت عيني عن المجلة التي كنت أقرأها وسألته :

- من ...؟ امانتا ؟..

- كلا ، بل امرأة عجوز شمطاء ، كنت أتمشى حول القصر عندما رأيته عند شجر الصفصاف على مقربة من المستنقع ، لم تنطق بكلمة واحدة بل نظرت الى وأشار باصبعها نحوي ، وأظن أنها ساحرة من تلك الساحرات الشريرات .

نظر فريدي الى ساعة الموقد وقال :

- مازالت هناك ساعة على غروب الشمس فما هي آخر أمنية لك ؟ .

سألته :

- هل تحدثت إليها ؟..

هز اورفيل رأسه وقال :

- تحدثت إليها ؟.. كلا ، اننى هربت وأمعت فى الهرب .

قال فريدي وهو يفرقع بأصابعه :

- هذه أسلم طريقة للتجاة ..

قلت :

- إن كل من يمارس الفودو يقول انه لا بد مما لا بد منه ، ولاريب انها

اشارت اليك لسبب وجيه ، لا شك أن بعضهم نقدھا عشرة دولارات لكي تشير إليك فلماذا لا تنقدها أنت عشرين دولارا لكي ترفع عنك اللعنة وعشرين دولارا أخرى لكي تخبرك باسم الشخص الذي أوحى إليها بهذه الفكرة ..

تعلق أورفيل بهذا الأمل وقال :

- هل تظن ذلك ؟

- طبعا فهكذا يربح السحرة أكبر جزء من دخلهم ، القى أورفيل كأسه وقال :

- لا يمكن لهذه العجوز أن تسرع في المشي على كل حال ، سألتحق بها.

وعاد بعد غروب الشمس بنصف ساعة وكان حذاؤه موحلا وكذلك ساقا بنطلونه ووجهه صار خليطا من الاخضر والابيض وقال في غيظ :

- لم استطع ان أجدها إنتى هالك .

قلت في فروغ الصبر :

- أورفيل .. انك مازلت على قيد الحياة حتى هذه الساعة اليس كذلك؟

هز رأسه موافقا واستطردت أقول :

- ونحن الآن بعد الغروب اليس كذلك ؟ ..

رمش بعينه وخم يديه وهو يقول :

- هذا صحيح إننا بعد الغروب ومازلت على قيد الحياة .

جفف العرق على وجهه ومسح نظارته ونظر إلينا فى فخر وقال :

- قلت لكما أن الرجل المثقف منيع ضد الفودو ..

وأقبت إلى غرفتى فى تلك الليلة فى الساعة العاشرة وأخذت معى من المكتبة كتابا لتتيسون ولم أكن قرأت له منذ أن كنت فى السادسة عشرة وبعد الحادية عشرة انتزعنى شئ ما من عالم القصور البيضباء والعذارى الشقراوات ..

لم تكن صرخة بمعنى الكلمة ولكنها كانت أشبه بصوت أجش ملح بدا لى أنه صادر من خارج نافذتى المفتوحة .

القيت الكتاب جانبا ، كان قمر محبوب يسطح خلف سحب من الضباب ويلقى ضوءا باهتا على العرجة القريبة من الغابة ولكننى لم أر بها شيئا .

نظرت تحت نافذتى مباشرة فرأيت مثلثا من النور يخرج من النافذة التى تحتها وهى نافذة غرفة أورفيل .

ونظرت إلى المرجة وإلى الغابة مرة أخرى .. هل صدر الصوت الذى سمعته من حيوان ما ؟.

هزئت رأسى أخيرا وطرحت الأمر من ذهنى ولكننى بقيت مكاني أمام النافذة ، كانت ليلة جميلة وكان النسيم مشبعا برائحة زهور البريقال.

اجتذب مثلث النور اهتمامى مرة أخرى فقد رأيت ظل شخص لم يكن أورفيل ثم ارتفعت ذراعان وأسدلتا الستار ..

وعدت الى مقعدى وأنا أشعر بغضة والقيت تتيسون فى سلة المهملات ثم مضيت الى البوفية وتناولت كأسا من الشراب ومضت ساعة وكنت سارحا

مع كأس الثانية ومع خيالى عندما سمعت صوتا مكتوما.. لم يكن هناك شك فى أنه طلقة مسدس ولكن هل اطلقت من النافذة التى تحتى أم من هذا الطابق بالذات ؟.

عبست ، كنت أنا وحدى الذى أقيم فى الجناح الشرقى بالطابق الثانى فيماعدا أدجرتون وكان أورفيل يقيم فى الغرفة التى تحت غرقتى .. أما أمانتا فتقيم فى الجناح الخلفى من الطابق الأول .

ذهبت الى غرفة ادجرتون وأصغيت ، كان واضحا انه راقد وانه يتنفس فى هدوء .

وهبطت وطرقت باب أورفيل طرقة خفيفة وانتظرت نصف دقيقة ثم طرقت الباب ثانية وادرت المقبض ..

كان أورفيل ملقى فوق السجادة أمام فراشه ووجهه نحو الباب ويجواره مسدس على بعد بوصات قلائل من يده اليمنى .

جثوت على ركبتى ، كان قد فارق الحياة .. اصابته رصاصة فى قلبه وكان هناك دم قليل .

ونهضت واتصلت بالبوليس ..

وأقبل المفتش بوشيه ومعه بعض رجاله من الضباط والفنيين ، وراح يستجوبنا حتى الصباح ثم تركنا نستريح قليلا .

وعاد بعد الظهر وكان يبدو أنه فى حاجة ملحة للنوم ولكنه أصر على استجوابنا للمرة الثانية ، وقال :

- مستر ويكر .. تقول انك سمعت الطلقة وهبطت إلى غرفة أورفيل ؟..

وإذ أومأت بالإيجاب عاد يسأل :

- هل لاحظت شيئاً .. أو سمعت شيئاً ما قبل أن تسمع الطلقة ؟..

أجبتة :

- كلا ، لم أر أو أسمع شيئاً على الإطلاق ، تحول عندئذ الى أمانتا

وسألها :

- تقولين إنك لم تسمعي الطلقة مع أن غرفتك في نفس الطابق الذي يقيم

فيه مستر كراوفورد ؟.

شحب لونها وقالت :

- كنت غارقة في النوم ولم أسمع شيئاً .

قلت :

- كانت نافذتي مفتوحة ولم أكن أويت إلى فراشي بعد ..

قال فريدي :

- هل ستقومون بتشريح الجثة ؟.

أجابه بوشيه :

- إننا استخرجنا الرصاصة وتطابقت مع المسدس الذي وجدناه

بجواره .

ونقل بصره فيما بيننا ثم قال :

- والظواهر تدل على أنه انتحر .

قال فريدي :

- هل تعتقد هذا حقا ؟.

ابتسم بوشيه ابتسامة باهته وقال :

- ولكن لماذا ينتحر رجل ينتظره مليون دولارا .

قلت :

- ربما كان مريضا .

مز بوشيه رأسه وقال :

- اننا اتصلنا بالدكتور الذى يعالجه وقال لنا أوقفيل كرافورد يتمتع بصحة جيدة .

قلت :

- ربما أحس باكتئاب أو ربما تملكه خوف ، فان إحدى الساحرات أشارت إليه بأصبعها فى الليلة الماضية وعندما يخشى امرؤ الموت فأنه يحاول أحيانا التغلب على خوفه بإقدامه على الانتحار .

قال بوشيه :

- إننا اهتدينا الى الساحرة . وتعرف باسم العمدة بلجامى ، وهى الوحيدة التى تمارس السحر .. والدولة تجرى عليها راتبا شهريا ، ولكنها تحتاج الى ثمن السجائر من وقت لآخر .

سألته :

- من الذى دفع لها ؟..

- انها لا تعرفه ، تقول إنها جاءت رسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة

ومرفق بها عشرون دولارا ، وفي الرسالة وصف دقيق للرجل المفروض أن تشير إليه وفيها اسمه كذلك .

وتنظر إلى في تفكير وقال :

- ولكن العمة بلجامي ضعيفة النظر وقد انتظرت ساعتين رغم البرد فما ان خرج أول رجل من البيت حتى أشارت له بأصبعها ثم اسرعت تغادر المكان ..

وابتسم بوشيه مرة أخرى وقال :

- وقد أشارت الى رجل آخر غير الرجل المقصود فقد كان المفروض أن تشير اليك أنت يا مستر ميكر .

وفي تلك الليلة جاعتى أول دمية من المطاط وقد انغرز في رأسها دبوس .

وفي صباح اليوم التالى جلست أمام طعام الافطار فى غرفتى وتتهدت فسألنى ادجرتون :

- ماذا بك ياسيدى ؟

قلت :

- اننى اشعر بألم غريب فى كاحل قدمى اليمنى .. وتسكع حولى بعد ان دهن قدمى بالمرهم وقال :

- هل تستطيع أن أسأل شيئا يا سيدى ؟ إذا ورثت هذا المليون .. أعنى المليون والنصف الآن فهل تغير طريقتك فى الحياة ؟ ..

- كلا ، مالم يكن هناك سبب قوى لذلك ..

- أنت لست بحاجة الى المال إذن يا سيدى ؟..
- لا أظن ، ولكن المرء يشعر بالدفء حين يعرف أنه يملك مالا .
- وبعد ان فرغت من الطعام جاء اجرتون ليرفع الصينية فقلت :
- اجرتون .. كانت القهوة مرة .
- شحب لونه وقال :
- وهل شريتها يا سيدى ؟.
- طبعا شريتها .
- ولكن أظن أنك تسممت يا سيدى .
- قلت :
- هذا سخف ..
- ولكننى كنتم منزعجا وسألكه :
- أنت الذى أعددت القهوة صباح اليوم أليس كذلك ؟..
- نعم يا سيدى.
- وفكر لحظة ثم انبسطت أساريره وقال :
- نعم يا سيدى .. إنتى اتذكر الآن .. أظن أنتى تركتها تغلى وقتا أكثر من اللازم فقد انهمكت أنا والطاهية فى الحديث .
- وما هو الحديث الذى يمكن أن يجعلك تهمل قهوتى ؟..
- لاشك أن هذا هو السبب فى أنها مازالت طاهية ولم تصبح امبراطورة

بعد ..

ومضى ادجرتون إلى الباب ومعه الصينية ؛ وفتحته له وإذا بربطة
مستطيلة معلقة على المقبض وقال ادجرتون :
- ما هذا يا سيدى ؟ ..

أخذت الربطة وأزلت الورق عنها وماهى إلا لحظة حتى كنت أحملق فى
دمية أخرى من المطاط وقد انغرز فى قدمها اليمنى دبوس .
انتقلت عينا ادجرتون من الدمية الى قدمى فقلت فى حدة :
- إن هو إلا مجرد وخز من وقت لآخر ولا شئ أكثر .
ونظرت إلى الدمية فى غيظ وقلت :
- كل هذا سخف .

- سيدى ، ليس هذا سخفا ، هل تعتقد حقا أن مستر كرافورد انتحر؟ ..
ولما لم أنطق قال :

- ارجو أن تغفر قولى يا سيدى .. إنك أحمق .
- ادجرتون .

بدا عليه الضيق ولكنه قال فى إصرار :

- أليست حماقة أن تجازف بحياتك فى هذا القصر .. مع قاتل .. أو
قاتلة لشئ إلا لكى ترث مليوناً ونصف مليون دولار لست فى حاجة إليها ..
- ادجرتون .. هناك أوقات أكون فيها عنيدا جدا ، واننى لأفضل أن
أخرج من هنا مدسولا على نقالة من أن أخضع لآى تهديد .

وبعد الغداء بقليل قمت بجولة حول القصر ، وبلغت ملتقى الطريق العام
بالطريق الريفي المرصوف بالحصى ومضيت الى بعض أشجار
الصفصاف وجلست فى ظل إحداها .

وكانت قد انقضت بضع دقائق عندما ظهر فريدى فجأة وسار إلى
صندوق البريد ، الخاص بقصر كرافورد وألقى فيه مظروفا ثم نظر حوله
متلصصا ولكنه لم يرنى .

وبعد نحو دقيقتين انقطعت أحلامى للمرة الثانية ، وظهر ادجرتون هـ
المرة ومضى الى صندوق البريد بنوره .
وأخرج مظروف فريدى وبدأ يعالج لسان الظرف بمطواته وتقدمت إليه
وأنا أقول :

– ادجرتون ماذا تفعل ؟.

أجفل ووقع المظروف من يده وهم بأن يهجم على ولكنه لم يلبث أن عرفنى
فقال :

– أهو أنت يا سيدى ؟..

وتناولت المظروف من الأرض وقلت :

– برر موقفك يا ادجرتون .

بلل شفتيه وقال :

– حسنا يا سيدى ، خطر لى أنه إذا كان مستر ميريديث هو الذى أرسل
إليك هذه الدمية فقد أستطيع ان اضبطه متلبسا بالامر ، أعنى انه ربما كان
هو الذى يتصل بالسحرة وأنه ربما يطلب منهم إرسال دمية أخرى .

فظهرت إلى المظروف ، كان معنونا باسم المفتش بوشيه فقلت :

- هل تظن أن بوشيه هو الساحر الذى يتعامل معه فريدى ..

كان ادجرتون مضطربا ومرتبكا طبعاً ، وقال طالما سمعت أن هناك
اناسا يخفون تحت ستار المدينة وحسن الغاية الأسود ولا أدرى لماذا يشذ
رجال البوليس عنهم .

وأخذت أعالج لسان الظرف حتى فتحته أخيراً وأخرجت منه ورقة صغيرة
مكتوب عليها بالآلة الكاتبة الكلمات التالية :

استخراج الرصاصة لا يكفى لماذا لا تقومون بتشريح الجثة ؟ ..

وكان ادجرتون يقرأ من فوق كتفى فقال :

- ماذا يعنى مستر ميريديث بهذا ؟ .

طويت الورقة ووضعتها فى المظروف ووضعتها فى جيبى .

اشمأز ادجرتون قليلاً وقال :

- ألن تضع المظروف فى صندوق البريد يا سيدى ؟ ..

- كلا ..

واستجوبنا المفتش بوشيه مرة أخرى فى ذلك اليوم واليوم الذى يليه
وكان من الواضح أنه يشك فى أن أورفيل قتل ولكن كان يتقصه الدليل على
ذلك .

وقمت بجولة أخرى ونم أكن أتوقع أن التقى فيها بأمانتا، ولكننا التقينا
على مقربة من البيت عند عودتنا وبعد بضع كلمات عابرة وجدت نفسى أقول

- " سمعت أنك قضيت بعض الوقت فى السجن " ..

كان سؤالاً فظاً بعيداً عن اللياقة ولكننى لم أستطع أن أمنع نفسى وأنا أخشى ان تتجاهله ولكنها نظرت الى أشجار الصفصاف وقالت :

- نعم .. انتنى اعترف بأننى قتلت زوجى .

- لماذا ؟

نظرت إلى فى برود وقالت :

- طمعا فى ماله .

ابتسمت وقلت :

- ما إلى هذا عنيت .. انما عنيت لماذا اعترفت .. يبدو لى أنك ذكية وأنتك إذا أقدمت على جريمة قتل فلا بد ان تستخدمى ذكاءك لكى تبعدى عنك كل شبهة ، وحتى إذا كنت قد قتلته فلم يكن هناك ما يحملك على الاعتراف طواعيه .

رفعت ياقة معطفها إلى عنقها قائلة :

- إن الطقس ازداد برودة .

ولكننى لم أتخاذل وقلت :

- إرضاء لفضولى وهو فضول لا مبرر له أرجو أن تردى على .. هل دسست السم لزوجك ؟

- قلت لك بكل جلاء انتنى اعترفت ..

- عزيزتى أمانتا إنك تعلمين أنتى ألقيت سؤالاً محدداً ، أنك اعترفت

بارتكاب الجريمة وأنا أسألك الآن هل كان لهذا الاعتراف أية صحة أو شرعية .

لم تنطق بكلمة حتى بلغنا الباب الخلفى للبيت وعندئذ قالت :

- إذا قلت لك لم أفسد السم لزوجي فهل تتناول طعامك بعد ذلك وانت مستريح البال ؟ ..

- إن الأمر أهم من ذلك ..

ومضت عيناها فجأة وقالت :

- إنني قضيت أربعة عشر عاماً من أحسن أيام شبابي في السجن أفلا تظن أن الحياة تدين لي الآن بجريمة قتل أو بجريمتين أو ربما بثلاث جرائم .

ثم ابتسمت وتلألأت أسنانها في جوف الظلام واستطردت :

- وأنا من الذكاء بحيث أستطيع أن أفلت من الجزاء ، أليس كذلك ؟ ..

وفي الصباح التالي وبعد أن فرغت من تناول طعام الإفطار ترنحت قليلاً وأنا أغادر المائدة فأسرع ادجرتون الى وقال :

- سيدي ..

- إنني أشعر بألم كبير في ركبتي .

وما كدت أنطق بقولي هذا حتى رأيت ابتسامة غريبة تلمع في عينيه ولكنه أشاح بوجهه عني حتى لا أراها فقلت في ببطء :

- الواقع أنني لا أشعر بأي ألم ولكنني رأيت أن اختبرك فقد فكرت في

الأمر مليا وقد خطر لى فى بادئ الأمر أن هناك ميكروفونا فى غرفتى ولكننى فتشتها تفتشا دقيقا ولم أعثر على شئ .. وتظاهرت بعد ذلك بأننى أشكو من ألم فى كاحلى وعندما فتحت الباب بعد ذلك وجدت الدمية الثانية بمقبض الباب ولا يمكن أن يكون غيرك قد فعل ذلك .

أطرق برأسه وقال :

- نعم يا سيدى ..

- وأنت الذى حرضت الساحرة كذلك ؟

- هذا صحيح يا سيدى .

- ادجرتون .. بماذا تبرر ذلك .

رفع عينيه إلى أخيراً وقال :

- إننى أخشى على حياتك يا سيدى .. وأنت تعلم أن بالبيت قاتلة وربما قاتل كذلك .

- استمر .

هز رأسه فى يأس وقال :

- إنك اعترفت بأنك لست بحاجة إلى المال ، ومع ذلك فمازالت تصر بكل حماقة على البقاء ، ولا أظن أنك ستبقى على قيد الحياة بعد ذلك (وتنهد) وقد فكرت فى اخافتك لكى تبتعد عن المكان ولهذا لجأت إلى الأرواح لكى أصل إلى هذا الهدف .

- إن الأرواح لا تخيفنى .

بدا الاستياء على وجه ادجرتون فقلت فى رقة :

- انتى أشكرك على اهتمامك بى ولكن أرجو أن تقلع عن ذلك وان تكف على الفور .

- ولكنك فى خطر يا سيدى .

- اننى أستطيع المحافظة على نفسى .

تألق وجهه وقد خطر له خاطر مفاجئ فقال :

- خطر لى أن من الجائز أن تكون أنت القاتل .

- ادجرتون !.

ولكن الفكرة سيطرت عليه فاستطرد يقول :

- إذا كنت أنت القاتل يا سيدى فدعنى أشاركك سرى ، ساكتمه ولن أبوح به أبدا ولكننى سأشعر بالارتياح فإذا كنت أنت القاتل فمن الواضح أن أحداً لن يقتلك ولن أشعر بئى قلق عندئذ ، هل أطلقت النار على مستر كرافورد يا سيدى .

- ادجرتون .. فى هذا الكفاية .

وفى المساء وجدت أمانتا وحدها فى غرفة المعيشة ، فجلست بجوارها وبدأت اقرأ ولكننى لم ألبث أن القيت بكتابى جانبا وقلت فى هدوء :

- امانتا.. انتى أعلم أنك كنت فى غرفة أورفيل قبل اطلاق النار عليه بقليل .

حملت فى بعينها السوداءوين وقالت :

- ولماذا لم تقل ذلك للمفتش بوشيه ؟

- لم أجد ضرورة لذلك .
- نظرت إلى في شيء من الدهشة فقلت :
- امانتا .. هل أطلقت النار على اورفيل ؟
- أجابتنى بعد لحظة :
- نعم ..
- قلت وأنا أظهار بالغضب :
- ما كان لك أن تقولى لى ذلك .
- ولكنك سألتنى .
- اعلم ذلك ولكننى .
- هل يحررك قولى هذا ..؟ أترى أنه لابد لك أن تخبر المفتش بوشيه .
- فليذهب المفتش بوشيه إلى الجحيم .
- واستطردت أقول وأنا أسير فى الغرفة جيئة وذهابا :
- ليس من الضرورى أن تقتلى الناس طمعا فى أموالهم .. يمكنك أن تحصلى على كل .. أعنى اذا أردت حقا .
- وتعذر علي أن أنطلق بالمزيد فابتسمت ابتسامة باهتة وقالت :
- ولكنك لم ترض أن تعطيتنى خمسين ألف دولار لكى تضمن سلامتك وتتأكد من أنتى لن أؤس لك السم .
- هزرت رأسى وقلت :
- انتى لا أعطيك الملايين لكى أحميك واصونك ولكننى لا أدفع سنتا

واحدا لجزية أو أتاوة .. أعنى اذا كنت تريدان حقا أن تدسى السم لى فانت حرة ..

وأحسست بأن ياقتى تكاد تخنق أنفاسى ورحت أقول :

- اننى أوتر أن تدسى أنت السم عن أن يدسه أحد آخر غيرك .

واتفق أن نظرت إلى المرأة فى هذه اللحظة فرأيت وجهى وقد اصطبغ بحمرة شديدة وبدوت كما لو كنت تلميذا صغيرا واستطردت أقول فى ضعف

- ومع ذلك فما كان لك أن تقتلى أورفيل .

- ولكننى لم أقتله .. انما أطلقت عليه النار فقط .

وانتظرت تفسيراً فاستطردت :

- كنت قد فرغت من أعمال البيت ومضيت الى غرفتي عندما رأيت أورفيل كرافورد ملقى فى الردهة ونصفه الى الخارج ونصفه الآخر داخل الغرفة كما لو كان يبحث عن عون عندما انهار فجأة وكنت على وشك أن أصرخ للمساعدة عندما .

وترددت فقلت :

- نعم ؟.

أطبقت امانتا عينيها لحظة ثم قالت :

- رأيت داخل الغرفة كئسا واقعة على الأرض وزجاجة ويسكى فوق المائدة وعندما شمعتها .

ونظرت الى واستطردت :

- ألم تفهم ؟ .. كانت تحتوي على سم .. وقد مات هو بالسم .. وفى البيت قاتلة .. كان من الواضح انني ساكون موضع شبهة و..
وبان الألم فى عينيها :

- أربعة عشر عاما فى السجن .. لم استطع احتمال هذا الأمر مرة أخرى ، ولهذا جررت مستر كرافورد الى الداخل ورفعت الزجاجاة والكأس من مكانيهما ..

وتنفست نفسا عميقا ثم استطردت :

- وذهبت الى غرفة البلياردو وجئت منها بمسدس وضعتة فى يده وصويته نحو قلبه وضغطت على الزناد .

هززت رأسى فى بطاء وقلت :

- نعم ، وهكذا بدا كأنه مات بسبب طلق نارى ولم يكن هناك حاجة الى تشريح الجثة فسيقتصر الأمر على استخراج الرصاصة .

رفعت عينيها وسألتنى قائلة :

- هل ستخبر المفتش بوشيه بذلك ؟.

جلست بجانبها وقلت :

- ليس هناك أى داع لأن أخبره بنى شئ ، ولكن هناك سؤالا أريد أن أعرف الرد عليه ، إذا كنت لم تدسى السم لزوجك فلماذا اعترفت بذلك ؟.

أشاحت بعينها عنى وعندما تكلمت قالت فى أعياء :

- كان أبى على وشك أن يفقد كل شئ ، وكان غارقا فى ديونه وهو الذى

دبر أمر الزواج وأعد له .. كان يرجو أن يقرضه زوجي ما يحتاج اليه من مال ..

- ولكن زوجي رفض ؟.

- سخر زوجي منه وقال إنه عرف لماذا تزوجته وأن الأمر انقلب علينا ..

- وارتجفت يداها وقالت :

- ودس أبى السم له بطريقة خرقاء .. وكان لابد أن يزج به فى السجن .

قلت وانا لا أستطيع أن أصدق :

- دس أبوك السم لزوجك وتحملت أنت المسئولية ؟.. أى أب يسمح

بذلك ؟

اضطرم وجهها خجلا وقالت :

- قال إنه لن يعيش أكثر من سنة .. وانه يؤثر الانتحار على البقاء فى

السجن ، وسألنى .

وتوترت اصابعها على منديلها وهى تستطرد قائلة :

- قال اننى اذا تحملت عنه المسئولية فانتى لن أقضى فى السجن إلا

أقل من سنة وأنه عندما يموت سيترك رسالة يبرئ فيها ساحتى ..

- ولم يترك أية رسالة عندما مات ؟.

واجهتنى فى شئ من الضراوة وقالت :

- انه لم يمت .. ما زال على قيد الحياة حتى اليوم .. واكتشفت انه لم

يكن مريضا أبدا .

واغرورقت عيناها بالدموع وقالت :

- بل انه بعد سنوات قلائل لم يفكرحتى فى الكتابة الى ..

طفلة وحيدة .. فتاة وحيدة .. امرأة وحيدة ولمست وجنتيها بأصابعى فى
رفق ودخل ادجرتون الغرفة فى هذه اللحظة وقال :

- هل تريد شيئا آخر الليلة يا سيدى ؟

نهضت وقلت :

- ادجرتون .. إن مسز ديفونتين لم تقتل أورفيل ..

انتقل بصره بيننا نحن الاثنين ثم قال :

- يسرنى هذا يا سيدى ..

- وانا الآخر لم أقتل أورفيل يا ادجرتون .

- يسرنى هذا من أجلكما يا سيدى .

وهم بأن ينصرف ولكننى أسرع أقول :

- ادجرتون .

- نعم يا سيدى .

- خطر لى الآن انك ربما أن تكون أنت الذى قتلت أورفيل ..

رفع حاجبيه وصاح :

- أنا يا سيدى ؟ ..

- نعم .. خوفا على طبعنا ، فأنت رجل أمين وربما خطر لك أن تحمينى

بأن تتخلص من الذين يهددون حياتي .

قال اجرتون :

- كلا يا سيدى إنني لم أقتل مستر كرافورد .. بل إنني لم أفكر في ذلك .

حككت أذنى فى تفكير وقلت :

- طالما أن أحدا منا نحن الثلاثة لم يقتله فليس أمامنا غير شخص واحد..

قال اجرتون :

- نعم يا سيدى .

أخذت أذرع الغرفة جيئة وذهابا إلى أن وصلت إلى قرار فقلت :

- حسن جدا .. يجب أن أقتل فريدى .

قال اجرتون :

- سيدى ..

هزئت رأسى :

- إنني لا أفكر فى سلامتى أنا بالذات ولكننى أعرف أننى اذا مت فإن فريدى لابد أن يقتل أمانتا كذلك حتى يشعر بالأمان فان وجودها على قيد الحياة سيكون خطرا عليه ..

قالت أمانتا :

- تشارل .. أظن انني أنا التى يجب أن تقتل فريدى ، فلا أستطيع أن

أدعك تعرض نفسك للسجن .

قال ادجرتون :

- سيدى وسيدتى .

وفى هذه اللحظة صدرت من الطابق الثانى صرخة فأجفلت قائلا :

- أنه فريدى .. هذا صوته .

قال ادجرتون :

- نعم ياسيدى .. أظن أن جهاز الراديو وقع فى البانيو وهو يستحم
ولاريب أن الرجل المسكين قد صعقه التيار ..

ضاقت عيتى وقلت :

- اننا فى الطابق الاول وفريدى فى الطابق الثانى فكيف عرفت ما
حدث .

قال ادجرتون فى رفق :

- مجرد حدس يا سيدى ، فانتى أعرف ان جهاز الراديو موضوع فوق
الرف فوق البانيو وعلى الرغم من أن هذا الرف يبدو متينا فإن ، أقل ارتطام
بالحائط يجعله يقع فى البانيو .

قدرت ادجرتون عندئذ وأدركت قيمته وأعربت له عن ذلك ولكنه ظل
محتفظا ببراعته .

ماذا أفعل بالله بثلاثة ملايين من الدولارات .. تتهدت .. ربما نستطيع
نحن الثلاثة أن نهتدى إلى حل .



عندما اكتشفت ، أنا والين ، حانة (تروتنج اين) ، خيل لنا انه المكان الذي نبحث عنه بالذات ، كان المبنى نفسه قديما جدا ولكنه كان يبدو جميلا وكان المطبخ ملائما والمعدات والتركيبات لا بأس بها ، كان البار بحاجة الى الطلاء طبعا وكانت هناك ثمة أشياء تحتاج الى تعديلات وتحسينات ولكن كان لدينا من الوقت ما يكفي لكي ننجز ذلك ، وكانت الحانة تأتي بعائد لا بأس به كما كان المطعم يدر ربحا كبيرا ، وكنا على مقربة من جيتسبورج مما يجعل المصطافين يرتادون الحانة ، وكنا على مقربة من بلتيمر بحيث نستطيع أن نتزود بالأسماك الطازجة التي تخصصت الحانة في إعدادها ، وقد أراد صاحب الحانة السابق الاعتزال ، وكان الثمن المطلوب معقولا ، وبمساعدة فعالة من البنك استطعنا شراء المكان ..

وتسببت لنا الأسابيع القلائل الأولى في بعض القلق والارتعاج ، وكنا أنا والين قد اعتزلنا المسرح منذ وقت قريب ولم يكن الانتقال الى مهنة الطاهي والسناقية من الأمور السهلة ، ولكن صاحب الحانة السابق بقى معنا يساعدنا حتى فهمنا العمل تماما ، وبعد مرور شهر كنا نقوم بكل شئ

وتغيرت الأمور وراجت الأعمال وعندئذ سمعناه لأول مرة .

وكما سبق لى القول فان حانة تروتنج كانت عبارة عن مبنى قديم ، وبالطبع سلم يؤدي الى دور علوى ، وكانت هناك تحسينات كثيرة كان لابد من أن نقوم بها ، ولكننا قررنا الانتظار حتى نحصل على ربح لا بأس به قبل أن نفكر فى إجراء أى شئ وبعد أن فحصنا الدور العلوى أول مرة لم يفكر أى منا فى الصعود إليه مرة أخرى .

وقد حدث ذلك فى وقت متأخر من ليلة الأحد .. كان آخر الرواد قد انصرف ، وكنت قد أغلقت الأبواب ، وراحت الين تغسل الأطباق والأكواب فى البار ، فى حين انهمكت أنا فى تنظيف المطبخ ، وكنا نشعر بالتعب والإرهاق ، وفيما عدا الصوت الخافت الذى كان يصدر منا كان الهدوء يسود المكان ، وفجأة دوى صوت ارتطام فى الطابق العلوى تبعه صوت بدا أشبه بصوت قزم مخيف فى دور الاحتضار ، وسرعان ما تلاشى الصوت ولكن تبعه صوت تحطيم فى البار فقد أفلتت صينية الأكواب من الين واندفعت خارجة من البار والقت بنفسها بين ذراعى وهى ترتجف كالأرنب المذعور ، وأعترف اننى كنت أرتجف أنا الآخر ولكن كان على أن أظاهر بالهدوء والرزانة .. كنا قد انهمكنا فى عملنا فى تلك الليلة ، فخطر لى عندئذ أن بعضهم ضل طريقه وهو يبحث عن دورة المياه ، ودخل المطبخ دون أن أظن اليه ، وصعد السلم الخلفى ، ثم غلبه النوم فى أحد الأسرة القديمة ولم يكن هناك باب آخر يؤدي إلى الدور العلوى ، ولهذا لم يكن ميسرا لى شخص أن يصعد إليه عن طريق آخر غير طريق المطبخ .

وحاولت أن أهدئ الين ، ثم أضأت نور السلم وصعدت ودخات الغرفة

متوقعا أن أجد رجلا مخمورا راقدا على الأرض ، ولكننى لم أجد أحدا ، ونظرت تحت الأسرة وداخل الدواليب وفتشت المكان جيدا ، لم يكن هناك أحد على الإطلاق فهبطت لى أطمئن الين ..

ورفعنا الأكواب التى تحطمت وحاولت أن أشرح لالين أن الصوت الذى سمعناه لأريب قد صدر من احتكاك بعض أغصان الشجر بالخارج ، أو لعله اصطدام عربة نقل بأحد الثيران ، واستردت الين جأشها أخيرا ورحنا نضحك ونحن نستعد للانصراف ، وخرجت الين وجلست فى العربة فى حين اطفأنا الأنوار بالداخل ، وعندما هممت بإدخال المفتاح فى قفل الباب سمعت اسخف ضحكة صكت مسمى فى حياتى ، وكانت صادرة من الدور العلوى ، ولكننى أغلقت الباب وعدنا الى البيت .

وانهمكنا فى عملنا فى الأسابيع الثلاثة ، وبدأنا نتعرف على الأهالى ، وسررنا للطريقة التى تقبلونا بها ، وكان المعروف عن أهالى هذه المنطقة بالذات أنهم قوم لا يحبون من يفرض نفسه عليهم ، ولهذا بقينا على الحياد حتى اطمأنوا إلينا وبدأوا يرتابون حانتنا ، وهكذا بدأت الأمور تسير على أحسن ما يكون .

وسمعتة مرة أخرى يوم الثلاثاء .. كانت الين قد ذهبت إلى هانوفر لابتياع بعض ما نحتاج إليه ، وكنت وحدى فى البار مع سى راويز ، أحد الرواد المألوفين ، وكان يقيم فى مزرعة تبعد عن الحانة بنحو ثلاثة أميال وكان والداه يديران المزرعة ، ولم يكن هناك ما يشغله .. كان قد تناول كأسين من ابراندى وقدحين من البيرة وهو يتناول غداءه وجلس فى آخر البار وقد دفن رأسه بين يديه عندما سمعنا صوت الارتطام فى الغرفة

العلوية ..

رفع سى رأسه نحو السقف وضحك ثم قال :

- أنه صاحبنا القديم .

مضيت إلى المطبخ لكى أصعد ولكن سى خاطبنى قائلاً :

- لا يوجد أحد فى الطابق العلوى .. إنه شبح .

عدت إلى البار وأنا أقول :

- شبح .. ماذا تعنى ؟ .. وماذا يفعل فى حانتى بالله ؟ ..

- لا تقلق .. إنه موجود فى الغرفة العلوية منذ أن شيد هذا المكان ، وقد حدثنى أبى عنه وأنا طفل ، وهو شبح ظريف لا يؤذى ولا يزعج أبدا ، كل ما هناك أنه يحب أن يصدر صوتا من وقت لآخر لكى يلفت إليه الأنظار ، وكأنه يريدك أن تعرف انه موجود ، ليس هناك ما تخشاه من ناحيته فهو لا يؤذى ولا يضر .

حاولت أن أتقبل تفسير سى ولكنه أمر لم يكن سهلا ، كانت الأصوات التى تصدر من الطابق العلوى تثير الحيرة فى عدم انتظامها وصدورها فى أوقات مختلفة على غير انتظار ، فذات يوم يكون جوه معتدلا ترن ضحكة رقيقة فوق رؤوسنا ، وفى يوم من أيام السبت التى يزدحم فيها البار تسمع صيحة مروعة كنتك الصيحات التى يرسلها كنج كونج ، فى صراعه مع سوبرمان ، وقد قمت بتفتيش دقيق فى كل مرة ، ولكن لىون جوى ، فقد كان كل شئ فى الطابق العلوى كما هو الغبار يعلو الرياش والمفروشات مما يدل على أن أحدا لم يلمسها أو يقربها ، وأخيرا طرحت الموضوع عن ذهنى

واعتردت أن أعيش مع الشبح ، بل إننى كفت عن التفتيش والبحث ، وبدأنا نستخدم السلم فى تخزين صناديق البيرة ، كان العمل رائجا ولم أكن مستعدا لكى أرى شبحا سخيلا يعوقها ، ولكن كان من المزعج أن تسمع قهقهة عالية وأنت تشاهد مباراة الكرة بعد الظهر فى التلفزيون .

والغريب أن قليلا من الرواد فيماعد الرواد المؤلفين قد لاحظوا ذلك ، كان الرواد المعتادون يهزون رؤوسهم مبتسمين ويرهفون السمع فى صمت ، فى حين كان الباقون يستمرون فى تناول طعامهم أو شرايهم كما لو أن شيئا لم يحدث .

ثم بدأ الأمر مع زجاجة من الويسكى الفاخر ماركة دانت ، وهو نوع من الويسكى المصنوع من الحنطة ولا يميل الرواد العاديون الذين يختلفون الى البار الى تناوله ، ولهذا بقيت هذه الزجاجة مكانها دون أن تعس ، وكانت فوق الرف مع غيرها من الزجاجات الأخرى التى لا تمتد إليها اليد ، وكنت انقض عنها الغبار كل يوم اثنين وكل يوم خميس ..

كنت قد فتحت المحل فى صباح الثلاثاء ، وجاعنى عميل وطلب كأسا من الويسكى والصودا ، فوضعت قالبيا من الثلج فى الكأس وصببت الويسكى فوقه ، ثم مددت يدي تحت الطاولة لكى أتناول زجاجة الصودا ، وإذا بيدي تخرج بزجاجة ويسكى دانت ، وخطر لى عندئذ ان الين نقلتها من مكانها فأعدتها حيث كانت وأخذت زجاجة الصودا وعندئذ سمعت صوتا فى الطابق العلوى كان أشبه باصطفاق باب أعقبته قهقهة ووقع أقدام رقيقة تجرى ، سمعت كل ذلك ولكن بدا أن العميل لم يسمع أى شئ من هذا .

وأقبل كيني الساقى الذى استخدمته ، فى الساعة الحادية عشرة
ليعاونني فى ساعة الغداء ، فتركته للإشراف على البار ثم مضيت الى السلم
وصعدت الى الطابق العلوى للتفتيش ، كان كل شئ كما تصورت تماما ، لم
يكن هناك أحد ولم ينتقل أي شئ من مكانه ، ومشيت فى الغرفة الشاغرة
وأنا أتمتم فى صوت خافت ثم أغلقت الباب وهممت بالهبوط عندما سمعت
القهقهة مرة أخرى .

ومنذ ذلك الوقت بدا كأنه دعابة ، فقد كانت زجاجة دانت تبقى مكانها فى
أغلب الأوقات ، ولكننى لا ألبث أن أجدها فى الثلاجة أو خلف صناديق
البيرة فى السلم أو فى المطبخ بين الأطباق والصحاف ، ووجدتها ذات
صباح فوق الحاكى ، ولم أملك نفسى عندئذ فرحت أويخ مداعبى الخفى
وأجابتنى عندئذ ضحكة خافتة .

وجاء وقت بدا فيه أن الشبح قد تعب من هذه اللعبة ، وانقضت أسابيع
عدة والزجاجة فى مكانها العادى لا تبرحه ، بحيث أحسست بالملل
ويحاجتى إلى شئ من النشاط ، وفتحت المحل صباح يوم أحد فاذا بى أجد
زجاجة دانت فوق الطاولة مفتوحة وقد أفرغت حتى النصف ويجوارها كأس
وكوب به قليل من الماء .. ورفعت رأسى إلى الطابق العلوى عندئذ وصحت
بأعلى صوتى أقول :

- لا أبالى بمداعباتك السمجة ، ولكن إذا أردت أن تتناول بعضا من
الويسكى فاشرب من الويسكى العادى ودع هذه الزجاجة فهى غالية الثمن .
وضج الطابق العلوى عندئذ بالضحكات والقهقهات المرححة والذق على
الأرض ، ولم أمنحه الفرصة وأرضيه بالصعود لكى أفتش المكان ، وأقبل

عميل في هذه اللحظة فعاد الهدوء الى الطابق العلوى بقية اليوم ..

واختلف كثير من الرواد الى البار في ذلك اليوم ، بحيث لم أجد متسعا من الوقت لكى أفكر فى الشبح السكير الذى يقيم فى الطابق العلوى وجاءت الساعة الواحدة من صباح يوم الأحد وأنا جد مرهق ، وكانت إلين قد عادت الى البيت ، وكان كينى قد فرغ من تنظيف كل شئ تقريبا وانصرف فى الساعة الواحدة والنصف ، وراح العملاء القلائل الباقون يغادرون البار تباعا إلى أن وجدت نفسى مع رجلين لم يبد على أى منهما أى ميل للكلام فصبيت لنفسى كأسا أخيرة ووقفت أترقب انصرافهما .

كان كل منهما غريبا لم يسبق لى أن رأيته ، وكان الجالس إلى يمين البار نحيفا فى نحو الثلاثين من عمره ، فوق عينه اليسرى ندبة ، اما الآخر فكان يبدو أصغر سنا تدل هيئته على أنه من رافعى الأثقال .

وفرغ الرجل النحيف من مشروبه وأشار الى أن املا كأسا من جديد ثم قال :

– وصب لنفسك كأسا على حسابى ..

ملأت له كأسا وملأت كأسا لزميله ، ثم صبيت لنفسى كأسا آخر ، وعندما رفعت عينى ألقيت نفسى أحدى فى فوهة مسدس عيار ٢٨ .

وقال الشاب النحيف :

– حسنا ، أغلق المحل الآن فلا نريد أحد آخر الليلة .

ولم تترك لهجته أى طريقة تصويريه لاسدس أى مجال للاحتجاج وتبعنى الى المطبخ حيث أدت المفتاح فى الباب الخلفى .

وظل ورائى وأنا أضع الاقفال فى الباب الجانبى والأمامى ، واطفأت
الأنوار الخارجية ثم الأخرى ، كنت بينهما كالفأر فى المصيدة .

قلت كما يقول أى جبان عادى فى مثل موقفى :

- اصغيا إلى ، خذا كل ما تريدون وانصرفا ، اننى لا أريد أية متاعب ..

ضحك الشاب النحيف وقال يخاطب صاحبه ساخرا :

- هل تسمع يا جو . . انه يريد منا أن نتصرف .. أليس هذا مضحكا ؟

ثم تحول إلى ، وسرت فى بدنى وعشة شديدة وأنا أنظر الى عينيه
الزرقاوين .. كانتا باردتين وأدركت معا ارتسم فيهما اننى هالك لا محالة ،
وقال :

- لعلك لا تمانع فى أن تفرغ من الشراب قبل أن نتصرف أليس كذلك ؟ ..
اتنا سنبقى فترة أخرى .

وضحك زميله ضحكة لا تبشر بالخير وجلسا يحتسان شرابيهما ، وصببت
لنفسى كأسا متوهما أنها قد تساعدنى على التغلب على خوفى .. وقال
الرجل النحيف :

- ابتعد عن آلة التسجيل .

امتثلت وانتقلت الى الناحية الأخرى حيث كان يجلس وقال يخاطب
صاحبه :

- والآن خذ النقود .

وتقدم زميله القصير من البار وأخذ كيسا من الورق من تحت الرف وبدأ
يضع فيه الأوراق المالية .

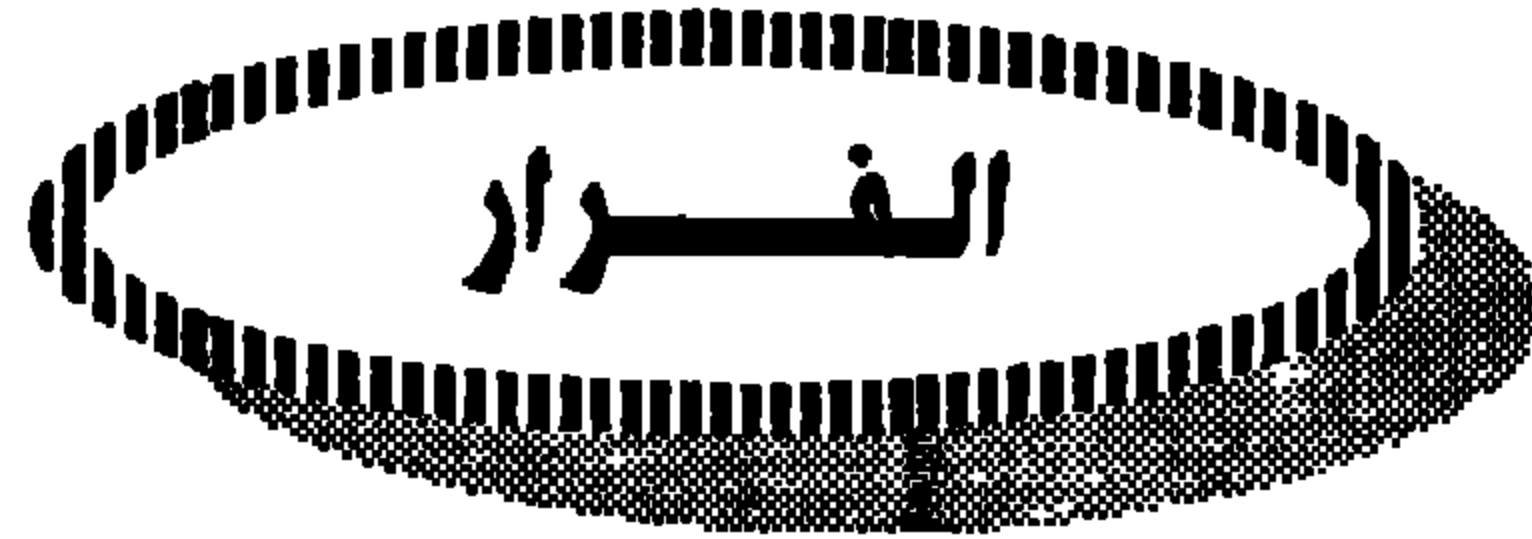
وفى هذه اللحظة صدر نوى شديد فى الغرفة العلوية كما لو أن بعضهم صفق الباب فى غضب ، فرقع الرجل القصير رأسه عن آلة التسجيل فى حين نظر النحيف إلى السقف ثم انتقلت عينه إلى وقال فى حقد ورعب :

- حسنا .. من الذى فوق يا صاح ؟

وكنيت أعلم انه ليست هناك أية فائدة فى قول الصندوق فقلت :

- شبح الجنرال كاستر وفرقة كاملة من الهنود .





" الفرار كلمة يسهل النطق بها ، ومن اليسير التخطيط له ولكن من الصعب تنفيذه لأننا نحمل ضمائرنا معنا أينما نذهب .."

كان بول ويلتون يقيم فى ضواحي المدينة فى ظل مطار كبير بولى وأصبح صوت الطائرات الكبيرة النفاثة وهى تصعد فى الجو وتهبط الى أرض المطار جزءا من حياته المنزلية تقريبا ويتجاوب أزيز محركاتها الهادرة بين جدران بيته كبندول الساعة . . كان يأوى الى فراشه ليلا وهديرها يدوى فى أذنيه وكان الهدير أول شىء يسمعه عندما يصحو من نومه فى الصباح .

وعلى النقيض من جيرانه لم يكره بول المعيشة على مقربة من الضوضاء والخطر ولم يرض أبدا أن يوقع على الالتماسات التى يقدمونها ويشكون فيها من ضوضاء الطائرات والخطر من قربها منهم ورغبتهم فى نقل المطار الى منطقة أخرى .. والواقع أن بول ويلتون كان يحب الإقامة بجوار المطار ويحب صوت المحركات المستمر فى أذنيه .. وكان قد اشترى البيت بسبب ثمنه المنخفض فى البداية .. وحين وقف فى ذلك اليوم يعاين البيت والمكان

وينظر الى الطائرة الكبيرة النفاثة وهي ترتفع فى الجو ببطء ثم تتطلق فى أجواء أخرى تملكه الانتفال وتسارعت نبضات قلبه وتغصد العرق من يديه . فى تلك اللحظة بالذات عرف انه سيشترى البيت .

ولعل السبب الأكبر الذى حدها الى شراء البيت هو أنه خيل له أنه يقرب بذلك حلمه إلى عالم الواقع أكثر .. فقد كان يحلم بأنه يجلس فى أحد مقاعد الطائرة ، وأنها ترتفع به فى الجو وتمضى به الى مكان آخر غريب وفى جيبه مبلغ كبير من المال وبجواره أرملة جميلة .. ولم يرق البيت لزوجته مارى ولكن مارى لم يكن يروق لها أكثر الأشياء التى يقدم عليها .. ولهذا لم يفرعج واشترى البيت على الرغم من كل شيء .

ثم إنه اشترى البيت لسبب آخر هو حصوله على ترقية جعلته قريباً من النقود التى حملته الى أن يخطط لكى تكون إقامته بجوار المطار .. ولكن من المؤكد أن المطار هو الذى حمله على أن يخطط لكى يسرق ما يكفيه لكى يعيش فى بحبوحة هو وروبرت فى البلاد الاستوائية .. روبرتا ؟ .. نعم إنه حصل على المرأة الجميلة كذلك ، فقد عثر عليها بمجرد انتقاله الى البيت الجديد وإلى عمله الجديد بالمصرف .. كانت هى المرأة التى يريدونها بالذات سمراء الشعر يضيفى عليها عملها فتنة وسحرا فقد كانت تعمل عارضة أزياء وتمثل فى بعض البرامج التليفزيونية .. وكان يبدو أن كل شيء قد وجد مكانه الحق فى نفس الوقت الذى بدأ يقضى فيه لياليه وعطلات نهاية الاسبوع على كئيب من محركات النفاثات كما لو أن نغمات محركاتها الهادرة هى نفس نغمات حياته على النمط الذى كان يتمناه ويرجوه .

وبدت عطلة نهاية ذلك الاسبوع بالذات كغيرها فى الظاهر وفى الظاهر

فقط ، فقد كانت هي العطلة التي ينوى أن ينفذ فيها خطته .. وقد تحدث بأمرها مع روبرتا بالأمس فقط ووافقته عليها .. كان قد كتم عنها كل شيء حتى آخر لحظة فقد كان يخشى أن ترفض الذهاب معه .. ولكن عندما حدثها بأمر النقود بدت عليها الלהفة وتاقت هي الأخرى إلى الرحيل إلى أراض وأفاق غريبة .

ولهذا عندما عاد إلى بيته في ذلك اليوم وقف في الفناء لحظة ينظر إلى السماء ويصفى إلى هدير المحركات الكبيرة فوقه مدركا أنه سيكون في إحدى هذه الطائرات بعد ساعات قليلة وكان الثلج قد بدأ يتساقط والسطح منخفضا جدا فراح الثلج يلفح وجهه ويخدر بشرته .. ومنعه التسقف من رؤية الطائرات ولكنه استطاع أن يسمع أزيزها .

ومضى إلى البيت ونضا عنه معطفه وعلقه في الدولاب ثم ذهب إلى غرفة المعيشة وكانت ماري تتكلم في التليفون .. وعندما دخل نظرت إليه من فوق كتفها وقالت :

- ها هو قد أقبل .

وأشارت إليه لكي يأخذ السماعة فأخذها منها وقال :

- آلو .

وسمع صوتاً يقول له :

- هنا مكتب المطار .. نريد أن نتأكد هل تسافر الليلة .. مستر بول

ويلتون ، أليس كذلك ؟

أجاب بول :

- نعم .. هل ستقلع الطائرة فى الوقت المحدد . ألن تؤجل الرحلة بسبب العاصفة ؟

قال الصوت :

- إن المعلومات التى لدينا تشير الى أن الطائرة ستقلع فى موعدها . نرجوك المرور بالشباك لكى تأخذ تذكرتك قبل الطائرة بنصف ساعة على الأقل .

استدار بول .. كانت مارى تنتظر اليه وسألته :

- لماذا اتصلت شركة الطيران بك ؟

نظر بول اليها منتقدا وهو يعلم بأنه سيكون حرا بعد ساعة أو ساعتين . والواقع أنه لم يدر حتى الآن لماذا تزوجها .. جلس كل منهما بجوار الآخر فى حصة البيولوجيا .. كان هذا هو السبب الوحيد الذى يستطيع أن يذكره .

كانت امرأة صغيرة .. كانت جميلة منذ ثمانى سنوات وكان يفترض أنها مازالت جميلة بالنسبة لغيره على الرغم من أنها أصبحت سمينة أكثر من اللازم بالنسبة لنوقه هو .. وقال :

- إن البنك يرسلنى مرة أخرى إلى فلادلفا .. كان قد احتاط للامر منذ أن حصل على ترقية ، أى منذ سنتين .. وتظاهر بأن البنك يرسله أسبوعيا فى مهمة مزعومة لكى تعتاد على غيابه وكان يقضى وقته طبعاً مع روبرتا مخصصا لذلك حصة صغيرة من النقود التى يسرقها .

سألته مارى فى غير اكتراث :

– أظن انك ستغيب طوال العطلة إذن ؟

قال :

– أخشى ذلك .. هل أعددت العشاء ؟

ذهبت إلى المطبخ قائلة :

– إنك تعرف أنتى أعدده دائما .

وأنته بالطعام ، ولم يكن شهيا فقد أعدته بدون شغف منذ نصف ساعة
وهي تعرف أنه سيقتى فى الموعد المعتاد لكى يأكله ساخنا .. ونظر إلى
الوعاء الالمنيوم وهو يقول لنفسه إنه سوف يتناول ابتداء من الغد كل مالاذ
وطاب .

وأكل على عجل وبدون أى استمتاع ثم مضى إلى غرفته فاستبدل ثيابه
وحزم حقيبته بسرعة ثم عاد إلى غرفة المعيشة ونظر إلى ساعته وقال :

– حسنا .. أظن أن من الأوفق أن أذهب الآن ، فيجب أن أصل إلى
المطار قبل الموعد بقليل فى مثل هذا الجو .

قالت ماري :

– أوافق أنت أن طائرتك ستتطلق الليلة ؟

أجاب :

– كل الثقة .. إن مثل هذا الجو لا يوقف الرحلات الجوية .

وعلا أزيز احدى الطائرات فوقه فقال :

– هل تسمعين ؟

قالت

- لولا هذا السياج لتمكنت من الذهاب إلى المطار من الطريق الخلفى
للبيت .. إنك أحببت المعيشة فى هذا المكان ومن سوء الحظ أنك لم تستطع
أن تفتح بابا فى هذا السياج .

قال :

- سأستدعى سيارة أجرة .. انتظرى .. اننى نسيت شيئا .

وخرج من البيت وأسرع خلال الثلج المتساقط إلى الجراج وفتح صندوق
السيارة وأخذ حقيبة بسوستة أخرج منها حزام النقود ثم فك أزرار قميصه
ووضع الحزام حول وسطه .. وأعطته النقود الإحساس بالقوة والأمان على
الرغم من أن أصابعه أخذت ترتعش وهو يربط الحزام .. ثم زبر قميصه
وعاد الى البيت لكى يأخذ حقيبته ويتكلم فى التليفون لاستدعاء سيارة
الأجرة .

وعند عتبة الباب ، والحقيبة فى يده وقف مترددا ، ونظر إلى ماري
وأخيرا قال :

- إننى ذاهب .

وكانت تقلم أظافرها فلم ترفع عينيها إليه وقالت :

- كن حريصا .

أجاب :

- إنك تعرفيننى . أننى حريص دائما .

وفتح الباب وخرن الى القناء .. لن تمضى دقائق حتى تأتى سيارة

الأجرة ، ولكنه أراد أن ينتظر خارج البيت ووقف فى الطريق الذى يغطيه الثلج ينتظر وهو ينظر حوله .. لم يكن يترك شيئاً هنا ، فإنه لا يعرف جيرانه تقريباً.. ولم يتبادل معهم غير بضع كلمات من فوق السياج وهذا كل شيء حتى فى البداية لم يكن بينه وبين مارنى أى شيء أكثر من البيولوجيا وتمنى لو أنهم لم يجلسوهم فى هذه الحصة تبعا لترتيب الحروف الأبجدية .. لا شيء هنا يتركه فيما عدا أزيز الطائرات وهدير المحركات ، وهو راحل معها الآن .. وجاءت سيارة الأجرة فمضى إليها من غير أن يلقي نظرة الى الوراء وقال يخاطب السائق :

- إلى المطار .

قال السائق وهو ينطلق :

- يالها من ليلة ، هل ستستقل الطائرة .

قال بول فى ارتياح كبير :

- نعم . إننى سستقل الطائرة الليلة .

قال السائق فى مرح :

- تقول النشرة إن عاصفة شديدة قادمة فى الطريق وإن درجة الحرارة منخفضة والرياح عالية .. إنها عاصفة ثلجية عنيفة يسرنى أنتى سأفرغ من عملى بعد ساعة .

دخل بول المحطة المضيفة الداغئة وقد بدا الانفعال يتملكه .. أنه سيسافر حقا .. لقد تحقق الحلم أخيرا .. إنه جاء إلى هذه المحطة مرارا قبل ذلك على الرغم من أنه لم يركب الطائرة فى حياته حتى الآن .. فقد

أعتاد أن يأتى إلى المحطة من وقت لآخر ليراقب الناس الذين يأتون ويذهبون منتقلين فى رحلاتهم الغامضة ، وكان يحلم باليوم الذى سيركب فيه الطائرة بدوره ويقوم برحلته الغامضة هو الآخر .

– سيتأخر إقلاع الطائرة تأخيرا بسيطا .

ركض قلبه بين ضلوعه .. كان هذا أول صدع فى الخطة الكاملة وأدار رأسه ورأى روبرتا جالسة فوق مقعد مستطيل تقلب إحدى المجلات ، وقال يسأل الموظف :

– ولكنها ستقلع ؟ .. أليس كذلك ؟

نظر الموظف اليه وقال :

– ان التعليمات التى لدى تقول إنها ستتأخر قليلا .. خذ طائرتك من الباب رقم ١٢ ،

دس بول التذكرة فى جيبه وسار الى منتصف المحطة واشترى كتابا وقالبا من الشيكولاته وجلس فوق أحد المقاعد وحاول أن يقرأ الكتاب .

وعند موعد قيام الطائرة أعلن المذيع أن هناك تأجيلا نحو نصف ساعة . وتعمل بول فى مقعده واستطاع ، من خلال الباب الزجاجى أن يرى الثلج وقد ازداد تساقطه .. وفتح الباب مجرد لحظة فاندفعت هبة من الهواء البارد ثم عاد الدفء من جديد .

وعندما انتهت النصف ساعة أعلن ان انطلاق الطائرة قد تأجل نصف ساعة أخرى .. وخصى بول الى الشباك ليتناقش مع الموظف ولكنه رأى كثيرين غيره قد سبقوه وان الموظف لم يستطع ان يقدم لهم غير معلومات

قليلة فاستقرت نيته على أن لا يقول شيئاً لأنه لم يشأ أن يلفت الأنظار إليه
نظر الى روبرتا مرة أخرى ورأها تنظر إليه وأحس برغبة شديدة لكي يسرع
إليها وان يجلس معها ويتناول معها القهوة ويتحدث في هذا التأجيل .. ولكنه
قاوم نفسه وبدلاً من أن يمضي إليها اكتفى بأن ينظر إليها في غير اكتراث
بعد أن عانت تقلب صفحات مجلتها وهو يقول لنفسه إنهما سيكونان معا
في مكسيكو غدا وبعد غد في أمريكا الجنوبية وبعد ذلك في أى مكان يرغبان
الذهاب إليه .

ومضى الوقت ثم أعلن المذيع قيام الطائرة فأسرع بول إلى الباب رقم
١٢ وبسط تذكرته .. ومشى في العراء حيث تقف الطائرة .. وكانت الريح
تصفر بشدة واضطر أن ينحنى وأن يمسك قبعته حتى لا تطير .. وراح الثلج
البارد يندفع نحوه وأحس بالبرد ينخر عظامه وهو يصعد إلى الطائرة .

وحيته المضيفة ووجد مقعداً بجوار النافذة وأحس بانفعال شديد وهو
يرى ان الرحلة وشيكة الوقوع ولم يشعر بأى اضطراب لأنه يركب طائرة
نفاته لأول مرة في حياته وانتظر في هدوء بينما كانت الطائرة تدور ثم تقف
وقد أخذت أهبتها للتخليق .

وعندما بدأت الطائرة تتحرك نظر إلى الجناح الذى تجلس فيه روبرتا
قرأها من قفاها تتشبث بمسند المقعد وبدأت الطائرة تتحرك في ببطء شديد
وبدا أنها تأخذ وقتاً طويلاً لكي تحلق في الجو .. وضم يديه معا في حجره
في إنفعال كبير .. إنه ذاهب الآن .. ذاهب إلى الأبد .

وحدث تغيير في صوت المحركات ، وألقى نظرة من النافذة فرأى الطائرة
ترتفع عن الأرض التى يغطيها الثلج .. وارتجفت الطائرة وخيل إليه انه يجب

أن تكون قد حُلقت في الجو الآن وأراد أن يتحدث مع أحد ولكنه التزم الصمت والهدوء فلم يشأ أن يظهر جهله بالرحلات الجوية .

وارتفعت الطائرة عن الأرض فجأة ولكنها لم تلبث أن ارتطمت بالأرض ومالت إلى أحد جانبيها ثم اعتدلت ثانية وأدرك حينئذ أنها تواجه مشكلة . ورأى أنوار العريات تحت في أرض المطار .. ثم تمايلت الطائرة وهوت وارتطمت بالأرض وبدأ الناس يصرخون ويصيحون بدخلها .

وكان قد وقع له حادث تصادم سيارة في الطريق العام ولكن هذه الصدمة كانت أشد وأسوأ فقد بدا أن الطائرة تترنح ثم دوى انفجار في مكان ما أعقبه ارتطام الطائرة بالأرض مرة أخرى وازداد صراخ الناس وصياحهم .. واشتعلت النار في جزء من الطائرة وقال بول يحدث نفسه :

- سأموت الآن .. وسيعثرون على المال حول وسطى .

وتوقفت الطائرة ورأى بول باب الطوارئ الكبير بجواره ولم يعرف كيف يفتحه ولكنه تشبث به ولم يلبث أن هب الهواء البارد ووقع من الطائرة على الأرض واندفع الناس خلفه في جنون هاربين من الموت .

ألقي نفسه فوق الأرض سليماً .. وكان هناك محرك مشتعل في الناحية الأخرى من الطائرة ووثب الناس من فوقه وهم يتصارعون ويتقاتلون في سبيل النجاة .. وصاح بول :

- روبرتا .

... لم يرها بين الناجين فعاد إلى الطائرة ورفع نفسه ولم يلبث أن وجد نفسه داخل الطائرة من جديد .

كانت هناك بعض الجثث في الطائرة ونظرت مضيفة إليه بعينين

متسعتين مذعورتين وصاحت به أن يخرج .. لعلت روبرتا قد نجت هي الأخرى .. ولكنه لم يرها .. ربما استطاعت أن تخرج من باب آخر .

وسار إلى الجناح الذي كانت تجلس فيه .. كانت لا تزال هناك ولكنها كانت قد وقعت على أرض الطائرة تحت المقعد المخلوع ، وكانت لا تزال مربوطة إليه .. وانحنى فوقها يفحصها قرأى مذعورا انها ماتت .. ورأى مقدمة الطائرة مشتعلة وملتوية بصورة غريبة وأدرك أن انفجارا وقع فيها فأصاب روبرتا في مقتل .

ودوى انفجار آخر فأسرع إلى الخارج وراح يجرى وهو يعرف أن الطائرة كلها قد تنفجر مابين لحظة وأخرى وراح يجرى بكل ما أوتي من قوة في جوف الظلام .

وأخيرا وقف وهو يقرنح وراح ينظر حوله .. عرف أين وقعت الطائرة في منطقة من المستنقعات بعيدة عن المناطق المأهولة وتبعد عن بيته بنحو ربع ميل .

ووقف مرتبكا مضطربا والبرد ينخر عظامه .. لقد سار كل شيء على ما يرام فماتت روبرتا وإن يلبث أن تكتشف السرقة انهارت الخطة كلها مع وقوع الطائرة ونظر إلى حيث وقعت فرأى بعض الأنوار وسيارة اسعاف ونورا أحمر .. وقال يحدث نفسه :

- " سأعود الى البيت وإن يعرف أحد أنني كنت في هذه الطائرة سأعود الى البيت " .

وبدأ يشق طريقه بين الأشجار نحو الطريق العام .. وكان المستنقع متجمدا كالصخر لحسن الحظ .. ولم يكن معطفه معه وراح يوتعيش من

البرد، وأثر أن يبتعد عن السيارات التي كانت تنطلق فى الطريق العام .
وأخذ طريقا جانبيا يؤدي الى بيته .

ووقف فى الفناء وراح ينظر حوله وهو يحدث نفسه أنه لم يكن يتوقع أن يرى هذا المكان مرة أخرى فى حياته .. وكانت رحلة قصيرة حقا ومضى الى الباب ودس يده ليخرج المفتاح حين حانت منه التفاتة الى نافذة غرفة العيشة ، وكانت هناك فرجة فى الستار رأى شيئا استطار له لبه .

كانا فى الفراش .. ماري ومعها رجل .. وصدم المنظر إحساسه أكثر مما صدمه حادث الطائرة ماري ورجل .. أدرك على الفور أن علاقته بزوجته كانت سائرة الى الانقيار منذ وقت طويل .. منذ الأيام التي عكف فيها على سرقة النقود وعطلات نهاية الأسبوع التي يقضيها بعيدا عن البيت تمهيدا لتنفيذ خطة الفرار .

وعصف الغضب بكيانه .. لم يكن يحب ماري منذ وقت طويل .. ولكنها كانت زوجته ، ولم يكن لها الحق فى أن تخونه فى بيته بالذات .. لم يشعر بالغيرة ولكنه أحس بإهانة كبيرة لم يسبق له أن عرفها فى حياته .

ودار على عقبيه وأسرع الى الجراج وفتح بابه بيد مرتعشة وهو يذكر أن هناك مسدسا فى درج سيارته وعثر على المسدس فأمسكه وأحس ببرودته فى يده وهو يعود الى البيت .

وانحنى أمام الباب العمومى ودس المفتاح فى صمت وأداره وفتح الباب وبخل وشهر المسدس فى وجه ماري عندما استدارت اليه .. وفتحت قمها مشدوهة وأصاب الرجل رعشة وبدأ بول بطلق النار وهو يتقدم منهما وأفرغ المسدس فى جسديهما حتى كفا عن الحركة ثم وقف ينظر إليهما

والمسدس لا يزال فى يده وقال يحدث نفسه :

- إقنى فعلتها الآن .. فعلتها .

وكان الهدوء والسكون يخيمان على البيت .

وأحس بالبرد يسرى فى ذهنه وفى جسده واستدار فرأى أن الباب مازال مفتوحا فمضى إليه وأغلقه .. لن يستطيع الهرب الآن أبدا .. لن يستطيع أن يهرب بالنقود والفتاة لقضاء أسعد الأوقات فى البلاد الاستوائية .. لن يستمتع أبدا بركوب الطائرات النفاثة ولن ينتقل الى مختلف البلاد التى كان يتلف للذهاب اليها فقد هوت طائرته به وسيموت الآن .. سيعدم لارتكابه جريمة القتل .

وتوقف فى مكانه .. كلا .. إن لديه الدليل على أنه كان بعيدا عن مكان الجريمة وقت وقوعها وماعليه إلا أن يخرج من هنا وان يعود الى الطائرة المحطمة وأن يكتشفوه هناك .. فى مقبره أن يجد سببا لوجوده فى الطائرة يتعلل به أمام المصروف اذا كان لابد من ذلك .. ولكن المؤكد الآن أن أحدا لا يستطيع اتهمه بارتكاب جريمة القتل .

وأسرع الى الباب وفتحه وألقى نظرة الى الخارج .. لم يكن هناك أى شىء ولا أى أحد .. وأخرج منديلا من جيبه ومسح المسدس ثم ألقاه على الأرض وأسرع خارجا من البيت وسط العاصفة من جديد .

ولم يأخذ الطريق العام بل شق طريقه خلال المنطقة المأهولة بالسكان نحو المستنقع مسرعا .. ورأى عن كثب بعض العربات والأضواء حول الطائرة واناسا يحملون مشاعل ويصيحون ويفتشون الأماكن التى حول المستنقع .. وأخذ يرتعش وهو يتقدم نحو المشاعل .. ووقف قبل أن يصل

اليهم ووقع على الأرض وتركهم يصلون إليه والتفوا به وحولوا أضواء
مشاعلهم نحوه وهم ينظرون الى ثيابه الممزقة وجسده الذى يوتجف .
وصاح شخص :

- ها هو واحد آخر .

وامتدت اليه بعض الأيدي تساعد .. وتركهم يسيرون به نحو الطريق
العام ويضعون ملاءة حول كتفيه وفنجانا من القهوة الساخنة فى يده .. ولم
يتظاه . بالذهول والاضطراب فقد كان يضطرب حقا ولا يستطيع أن يمسك
بفنجان القهوة .

وبعد لحظات حملوه الى عربة إسعاف ومضوا به الى المطار .. وبدأ
يفكر وهم يمضون به .. كان لا يزال بمقدوره أن يهرب فان النقود ما تزال
معه ، حول وسطه ولم يصب بشيء ويمكنه أن يستأنف رحلته .. لم يكن
يهمه شيء فيما عدا الهرب .

وعندما بلغوا المطار فحصوه واستجوبوه وواسوه . وتركهم يفتون لحظة
ثم استفسر عن الرحلة القادمة فربوا عليه قائلين :

- ولكن لا يمكن أن تسافر الآن .

قال :

- بل لابد لى من ذلك .. انها حالة عاجلة .. يجب أن أستقل أول طائرة .
وتجادلوا معه كثيرا .. ولكن بعد أن وقع على وثيقة بأن لم يلحق به أى
أذى أو أى سوء سمحوا له بأن يستقل الطائرة التالية التى ستقلع بعد
ساعة .

ومضت الساعة بأسرع ما قدر، وقبل أن يدرك تماما كان يسير نحو الطائرة الثانية .. وكانت الريح باردة وتصفّر على الرغم من أن الثلج كان قد انقطع عن السقوط .. وكانت السماء صافية .. وسار وهو ينظر الى الأرض مثبتا قبضته بيده على رأسه ، تماما كما فعل في المرة السابقة .

وتوقف ورفع رأسه الى الطائرة .. كانت عملاقة بشعة وهى جاثمة فوق الأرض .. وسرت رعشة فى بدنه هزته من أعلى رأسه الى أخمص قدميه . وعرف الحقيقة عندئذ والخوف يسرى فى بدنه .. لن يصعد الى أية طائرة نفاثة أبدا بعد ذلك .

لن يذهب الى أجواء أخرى ولن يستمتع بحياة أخرى .. وحاول أن يجبر نفسه على التقدم الى الطائرة ولكنه لم يستطع أن يخطو خطوة واحدة نحو النجاة .

وكانت المضيفة واقفة أسفل السلم فأشارت إليه ثم أسرع نحوه ولكنه دار على عقبيه .. وراح يجرى هاربا من الحرية الوحيدة التى أمامه الآن .. راح يجرى بكل ما فى قلبه من خوف .. يجرى مذعورا الى دقاء المحطة وأمنها .. وحلقت الطائرة فى الجو وهو فى طريقه الى المحطة فوضع يديه فوق أذنيه حتى لا يسمع صوتها .

وتلقفوه عند مدخل المحطة بأيّد رحيمة ورقيقة ومضوا به .



نزىل الفندق

كان يوما ضائعا بالنسبة لـولفسون ، فقد أرسله الضابط الى فندق جولدن جيت لبحث شكوى قدمت إليهم ولكن يعد تحقيق وجيز اتضح له أنه لا مبرر لها ، فقد أخطأ بعض النزلاء ودخلوا غرفة غير غرفتهم بسبب افراطهم فى الشراب .

وخرج من المصعد وألقى نظرة على النزلاء الذين يدخلون ، كان الوقت ظهرا ولكن البار الملحق بالفندق كان مزدحماً بالرواد ، وكانوا كلهم من الرجال الذين يعملون فى المكاتب المجاورة ويقضون فترة الظهر فى تناول الشراب .

حسنأ أن له ان يعود الآن بوفىما هو يجتاز القاعة المزدحمة مر برجل واقف امام مكتب الاستقبال ، وعلق وجه الرجل فى ذهنه لحظة ثم طرحه عنه ولكنه ما أن بلغ الباب العمومى حتى توقف مترددا ثم عاد ادراجه .

كان الرجل الواقف أمام مكتب الاستقبال فى أوائل الخمسينات ، قصير القامة ، تدل ملامحه على أنه قضى كل حياته أعام سبورة سوداء أو أمام آلة حاسبة ، كان يرتدى بدلة ضيقة رخيصة وقميصا باليا أزرق .

ووقف وولفسون أمام مكتب الاستقبال ونظر الي الرجل فى فضول وسمعه
يقول :

- هل أجد غرفة فى الطابق الثاني عشر ؟.

أجاب الموظف

:- الغرفة رقم ٥ شاغرة ، وهى جميلة وفسيحة .

وأخرج من الحامل بطاقة القاها فوق المكتب وهو يقول :

- وتطل على شارع جرانت .

تمتم الرجل ببضع كلمات مبهمه وسجل اسمه على البطاقة ثم اتجه نحو
العصعد ، ولم يكذب يتعد خطوتين حتى أدرك وولفسون السبب الذى حمله
على الاهتمام به ، فأخرج محفظته من جيبه الخلفى واسرع حلف الرجل
وريت بيده على كتفه وهو يريه الشارة التى تدل على أنه من رجال البوليس
وقال :

- يؤسفنى أن ازعجك ياسيدى ، ولكن هل يمكن ان تذكر لى اسمك ؟.

رمش الرجل القصير وهو ينظر اليه بعينيه المكودتين ، وقال فى صوت
مبهم :

- ميللر .. تشارلس ميللر .

- هل لك أن تنتظر لحظة مكانك يا مستر ميللر ..؟

وعاد وولفسون الى موظف الاستقبال وأراه شارته ثم قال :

- هل استطيع أن أرى البطاقة التى سجل عليها هذا السيد اسمه ؟.

أخرج الموظف البطاقة .. كان مكتوبا بها اسم تشارلس ميللر بشارع
لومبارد رقم ١٣٣٨ بسان فرانسيسكو .

نقل وولفسون العنوان ثم أعاد البطاقة ، وعندما عاد الى ميللر كان الرجل
القصير يحملق فى ساعة الحائط فى غموض وهو يدير مفتاح الغرفة بين
أصابعه .

- هل تقيم هنا فى مدينة سان فرانسيسكو يا مسر ميللر ؟.

- نعم (وبدا صوته فى منتهى اليأس) .

- ولماذا تنزل بهذا الفندق ؟..

هز ميللر كتفيه وقال :

- لشئون تتعلق بالعمل ..

- أى نوع من العمل ؟..

رفع ميللر عينيه إلى الساعة مرة أخرى كما لو كان طفلا صغيرا ينتظر
وجود نجدة بفروغ صبر ، وعاد وولفسون يقول :

- أى نوع من العمل يا مستر ميللر ؟..

يجب أن أجمع ببعض القوم .. ومعظمهم من التجار .

نظر وولفسون الى السجادة وقال :

- وليس معك أى متاع .

- ذلك لاننى سأقضى ليلة واحدة ..

أخذ وولفسون يفحص الوجه الذى أمامه فى اهتمام .. هل يمكن أن

يكون قد أخطأ .. وهل يمكن أن يكون الأمر مجرد تشابه وأن يكون صورة طبق الأصل .

كانت هناك ندبة صغيرة ، فوق عين ميللر اليسرى يمكنه أن يتحقق منها ومن باقى الأوصاف باللاسلكى .

قال يخاطب الرجل :

– أظن أنى مضطر أن أطلب منك بعض الأيضاحات ..

تردد الرجل تردداً يسيراً ثم راح يفتش فى جيوبه وأخرج محفظة قديمة من جيب داخلى ناوله اياها ولكن وولفسون قال :

– كلا ، ناولنى أنت منها بطاقة التأمين الاجتماعى او رخصة السيارة أو أى شئ .

بحث الرجل فى مجموعة صغيرة من البطاقات وناوله رخصة صادرة من ولاية كاليفورنيا باسم تشارلسى ميللر .

وبينما كان وولفسون ينظر إليها فى اهتمام بدأت جماعة من الفضوليين تتجمع حولهما فقال :

– يؤسفنى أن أزعجك يا مستر ميللر ولكننى أحب أن تأتى معى ، لن أشغل من وقتك أكثر من نصف ساعة .

نظر الرجل القصير الى المصعد فى أسف وقال :

– ولكننى ظننت أننى استطيع .. (وخفت صوته من جديد وسأل) .. هل الأمر هام ؟ ..

– إن معى سيارة فى الخارج ، وسينتهى الأمر بأسرع مما تظن ..

- حسنا ..

ونظر إلى المفتاح الذى فى يده وقال :

- وهذا .. ماذا يجب أن أصنع به ؟.

بدأ وولفسون يشعر بالاسف له وقال :

- إنك دوت اسمك ، سيحتجزون الغرفة لك .

وارشد الرجل إلى الباب واردف :

- ستعود فى الوقت اللازم لحضور الاجتماع .

وفى الخارج ، فى ضوء النهار بدا ميللر مشدوها وضائعا .. ودوت
سريئة سيارة البوليس فتوترت اعصاب الرجل ، وأمسكه وولفسون من
ذراعه وقاده حتى المكان الذى تنتظر به السيارة ، ومشى الرجل وهو يرمش
بعينه فى ضوء الشمس وقد ازدادت حيرته وبدأ كالفأ الذى وقع فى
المصيدة .

وعندما بلغا السيارة فتح وولفسون الباب وجلسا ، وبدأت السيارة تتطلق
ونظر وولفسون إلى ميللر كما لو كان يقيمه ، ولكن الرجل كان مطرق الرأس
وكان لا يزال يدير المفتاح بين أصابعه .

قال وولفسون وهو ينطلق نحو مركز البوليس :

- هناك شئ يحيرنى وهو أنك لم تسألنى ولو مرة أين أذهب بك ؟..

هز ميللر كتفيه فى تراخ ، وكانا يمران بميدان الاونيون وطارت حمامة
أمام الزجاج الأمامى للسيارة مذعورة وعاد وولفسون يقول :

- لماذا لا يبدو عليك الاهتمام ؟.
- لأننى لن ألبث أن أعرف .
- نعم ، لن تلبث أن تعرف .. لن يستغرق الأمر أكثر من بضع دقائق .
- ولكنه كان متأكدا تماما أم ميللر لن يعود الى فندقه بعد ذلك ..
- وأوقف السيارة على مسافة قريبة من المركز وقاد الرجل القصير نحو الدرجات الأمامية لمبنى البوليس ولم يكن هناك احد في غرفة المناوبة ومتجرد صحف قديمة ورائحة طلاء جديد ، وترك ميللر وحده في غرفة الاستجواب وأنطلق في الممر نحو مكتب سى باجانو .
- كان باجانو يطل من النافذة وينظر الى السماء وقال :
- لم أشاهد أى نورس منذ أسبوع ولا أدري لماذا اختفت لم يخلق وواقسون الباب خلفه وقال :
- إن لدى شيئا يأسى .
- وما هو ؟..
- أتيت برجل يدعى تشارلس ميللر ، ولكننى اعتقد انه اسم مستعار ..
- نظر باجانو إلى السماء مرة ثانية وقال :
- ومن تظنه يكون ؟.
- فريدريك ليفتر .. مدرس سانتا بريارا الذى قتل هاتين المراتين في الأسبوع الماضى .
- تحول باجانو عن النافذة على الفور وقال :

- هل أنت واثق ؟ ..

- إن الوصف مطابق ، وقد جاعتنا صورة باللاشلكى وقيل لنا إنه ربما يكون فى طريقه الى سان فرانسيسكو .

- وأين وجدته ؟ .

- فى فندق جولدن جيت ، ولم يكن معه متاع .

أخذ باجانو سماعة التليفون وقال وهو يطلب الخط :

- سأتصل ببوليس لوس أنجلوس للحصول على مزيد من المعلومات ..
أين هو ؟ .

- فى قاعة الاستجواب .

خرج وولفسون ومضى إلى الغرفة المذكورة ، وكان ميللر جالسا على
مقعد ينظر إلى الحائط بعينين نصف مغمضتين امام الضوء الساطع
المتسلسل من النافذة وأسدل وولفسون الستار .

وجلس بجواره واشعل سيجارة ثم قال :

- أنتى أسف أتريد سيجارة ؟ .

- إننى لا أدخن .

- منذ متى تقيم فى سان فرانسيسكو يا مستر ميللر ؟ ..

دعك الرجل القصير عينيه وأجاب :

- منذ اسابيع قلائل .

- وأين كنت تقيم قبل ذلك ؟ .

- فى نيويورك ، وقد انتدبتني شركتى للعمل هنا .

نهض وولفسون وعاد إلى النافذة وتطلع الى الخارج من خلال الستار ،
لم يكن هناك أحد بالشارع ، ودقت ساعة كنيسة قريبة تعلن الوقت فنظر إلى
ساعته متحققا ثم قال :

- وماهو العمل الذى تقوم به يا مستر ميللر .

- البيع بالجملة .

- هل أنت متزوج .

تردد الرجل بينما دقات الساعة تتابع كقطرات الماء وأخيرا قال :

- نعم إنتى متزوج .

- هل معك صورة لزوجتك ؟.

- وهل هذا مهم .

عاد وولفسون إليه ، كان وجه الرجل فى الظل ولكنه رمش بعينه مع ذلك
وهو ينظر إلى ضابط البوليس الذى قال :

- أنه مهم يا مستر ميللر ، هل معك صورة لها .

أخرج الرجل المحفظة القديمة مرة أخرى ، وراح يفتش فيها وأخيرا
تناول منها صورة قدمها إلى وولفسون وعرضها للضوء ، كانت صورة قديمة
لشعراء جميلة ، أصغر سنا بكثير من زوجها ، وكانت تبدو عابسة .

وسأله :

- هل أنت متزوج منذ وقت طويل ؟.

- منذ بضعة أسابيع ..

فتح الباب فى هذه اللحظة ودخل باجانو وفى يده ملف فقال وولفسون :
- هذا هو الملازم باجانو زميلى يا مستر ميللر ، هل تمت المكالمة
باسى؟.

- كلا .. إن الخط معطل .

مضى وولفسون بالصورة إليه وقال :-

هذه زوجة مستر ميللر .

فحص باجانو الصورة وهو جامد الاسارير ، ثم فتح الملف وأمسك
بصورتين وعرضهما بحيث يستطيع زميله وحده أن يراها وقال :
- القتيلتان .

أخذ وولفسون الصورتين وعرضهما للضوء ، كانتا لامرأتين فى منتصف
العمر لا تشبه أى منهما المرأة الشقراء .

تحول باجانو إلى الرجل وسأله فجأة :

- هل زوجتك بالبيت يا مستر ميللر ؟ ..

- نعم ..

أخذ وولفسون سماعة التليفون وقال :

- ما رقم تليفونك ؟ ..

تعلم ميللر فى مقعده على الفور وقال :

- كلا .. إنها ليست بالبيت .. أننى أخطأت .

التقت عينا وولفسون بعيني باجانو وقال الأول :

- أوه .. أين هي إذن ؟

- لقد سافرت إلى نيفادا صباح اليوم .. لكى تزور بعض الاصدقاء .

- آه .. هل لديهم تليفون ؟ ..

- كلا ..

نهض ميللر واقفا فى ارتباك وقال باجانو :

- هل ترى هذه السبورة التى بجوار الحائط ؟ أذهب إليها وخذ قطعة من
الطباشير .

فعل ميللر ما أمر به ، وقال باجانو وهو ينظر إلى وولفسون مرة أخرى :

- هذا جميل ، والآن اكتب أى شئ .

بدا الرجل وكأنه موشك على البكاء وقال :

- ماذا يجب أن أكتب .

- أى شئ .. لا يهم ماذا ..

ظل ميللر جامدا لحظة ، ثم رفع يده وكتب (تشارلز ميللر) ، فى خط
جميل مائل بعض الشئ ثم بدا يستدير ولكن باجانو صاح به :

- كلا ابق كما أنت ، أكتب اسمك مرة أخرى .

وبينما كان ميللر يكتب أخذ باجانو المحفظة من فوق المكتب وأخرج
رخصة القيادة وقال وولفسون يحدث نفسه (هذا جميل .. جميل جداً) ،
وداح يقارن من فوق كتف باجانو بين التوقيع الموجود على البطاقة وبين

الاسم المكتوب على السبورة ، وكانا متطابقين ..

قال باجانو :

- إنك تجيد استخدام الطباشير والكتابة على السبورة يا مستر ميلر مع أن أكثر الناس لا يجيدون ذلك ، هل أنت واثق أنك لست مدرسا ؟.

أجاب الرجل القصير :

- ذلك أن لي خبرة بالتدريس .. فقبل ان تتدبني شركتى للعمل بهذه المدينة كنت أقوم بالتدريس عن كيفية البيع بالجملة ..

- ألم تشتغل بالتدريس فى المدارس أبدا ؟.

- كلا .

- مشى وولفسون إلى السبورة وقال :

- هناك أسم آخر .. أريد منك أن تكتبه .. فريدريك ليدنر هلا فعلت ذلك من أجلي .

ارتفعت يد ميللى إلى السبورة بدون تردد وكتب الاسم بنفس الثقة والرشاقة .

قال وولفسون :

- آه ..

وأشار إلى الملف ففتحه باجانو ، وأخذ وولفسون صورة أخرى وضعها فوق المكتب نحت المصباح وقال :

- يمكنك أن تعود مكانك يا مستر ميلر ، أجلس .

عاد الرجل القصير الى مكانه امام المكتب ، وهو يرمش بعينه فى ارتباك ، وجلس فى إعياء ، وأشار وولفسون إلى المصباح قائلا :
- هل ترى مانعا من أن تضىء النور.. أريد أن أريك شيئا .
أدار ميللر المفتاح ولم يكذب يفعل حتى أجفل وتشبث بذراعيه بالمقعد كان يحرق فى صورة له هو بالذات وقال :
- من أين جئت بهذه الصورة ؟..
قال وولفسون :
- من ملفاتنا .. ودنا هو وياجانو من المكتب وقال :
- إنها صورة لرجل يدعى فريدريك ليدنز قتل امرأتين فى الأسبوع الحاضى فى سانتا بربارا ..
قال ميللر محتجا :
- ولكن .. ولكن هذه صورتي أنا .
أخذ باجانو الصورة منه وقال :
- أخذها بوليس لوس انجلوس من ملفات المدرسة الخاصة التى كنت تقوم فيها بالتدريس .
هز ميللر رأسه وقال :
- هذا مستحيل ، إتنى لم أذهب الى سانتا بربارا فى حياتى ، يمكن لأى شخص أن يقول لك ذلك .. أى شخص :
قال باجانو :

- حقا .. وزوجتك الجديدة .. هل يمكن أن تشهد بذلك ؟ .
- امتنع وجه ميللر وخفض رأسه ورفع يده إلى جبينه وقال :
- هناك غلطة .. أنكم خلطتم بينى وبين شخص آخر .
- جلس باجانو فى المقعد الذى بجواره وقال :
- من أين جئت بهذه المحفظة يا ليدنر .. ومن هو تشارلز ميللر .
- أنا تشارلس ميللر ..
- وبدا الرجل القصير موشكا على البكاء ، واستطرد يقول :
- يمكنك أن تسأل اصدقاءى ورؤسائى فى العمل .. فى استطاعتهم أن يقولوا لك .
- انحنى باجانو فوقه أكثر وقال :
- أعتقد أنك كذاب .. أنك قتلت هاتين المرأتين وأقبلت هنا لكى تختبئ
- أنظر إلى .
- هذه غلطة .. ألا يمكنك أن تفهم ذلك ؟ .
- ارتفع صوت باجانو وقال فى اصرار :
- أظن أنه لابد من الاعتراف .. لابد أن تتذكر لنا كل شئ عن هاتين المرأتين .
- لا أعرف عن أى شئ تتكلم .
- تدخل ~~و~~ ولفسون قائلا :
- هون عليك ياسى .. أننا لم نتحقق من الأمر بعد .

- هذا الرجل هو فريدريك ليدنر .. وقد كذب علينا فيما يتعلق بزواجه
وكتب على هذه السبورة بالاسلوب الذي يجيده المدرسون ، سأضعه في
الحبس .

فكر وولفسون في الأمر مليا ومرت به لحظة ود فيها لو أنه لم ير ذلك
الرجل ابدا ، ولو أنه تجاوزه وقال باجانو :

- ماذا تفعل .. هل نحبسه أم نطلق سراحه .. استقر على رأى
ياصاحبى .

نظر وولفسون إلى الرجل القصير ، كان قد أمسك بصورة ليدنر للمرة
الثانية وراح ينظر إليها فى غباء وعدم إبداع ..

- حسنا ، سوف نحبسه ، غير أنني مازلت غير واثق مثلك ، ولكن لا
يمكن ان نجازف .

قال باجانو :

- صدقتى ، أن كل شئ مطابق ..

قال وولفسون وهو يلمس الرجل من كتفه فى رفق :

- هلم بنا يا مستر ميللر .. الخطوة الثانية .. رفع البصمات .

أوما ميللر برأسه ونهض ومضى نحو الباب ..

انحنى باجانو فوق النافذة ، وهو يضرب فخذه بالملف فى غضب وقال :

- عندما تفرغ عد إلى ثانية سأحاول الاتصال ببوليس لوس أنجلوس مرة
أخرى ..

وبدا يدير قرص التليفون عندما أغلق وولفسون الباب .

وفى مكتب البصمات لم يبال ميلر بما حدث له ، وضغطوا أصابعه فوق المحبرة ، وجلس وولفسون فى ركن يفكر وهو يدخن سيجارة ، كان هناك شئ غير صحيح .. فإن تشارلس ميلر وأيا كان اسمه كان رقيقا وادعا لا يكثر بما يحدث له .

وبعد دقيقة طرق الباب وأدلى باجانو منه قائلا :

- وولفسون .. هل يمكن أن تأتى لحظة ؟ ..

تر. وولفسون بعد أن داس على سيجارته على الأرض :

- هل اتصلت ببوليس لوس انجلوس ؟

أجابه باجانو وهو يشيح بوجهه عنه :

- نعم إنهم القوا القبض على فريدريك ليدنر فى الليلة الماضية .

- ماذا تقول ؟

- عشروا عليه مختبئا عند صديق له ، ليس هناك أى خطأ .

حاول وولفسون أن يخفى ارتياحه وقال :

- هذا عجيب إن الرجل يشبهه تماما .. كما لو كانا توأمين .

تنهد باجانو ورفع يده قائلا :

- كنا أحمقين .. وقد حدث ذلك قبل اليوم ، وسيحدث بعد اليوم ..

هل لك أن تفسر الأمر لصاحبنا هذا .. إننى لا أجيد الاعتذار .. قل له
إننا نأسف وأتينا أخطأنا .

وأردف يقول فى صوت مرتفع :

- أنك تقوم بمهمة الدبلوماسى دائما .. عد به الى فندقه ، ويخيل لى أنه موشك على الانهيار ما بين لحظة وأخرى .

وكانت رحلة العودة إلى الفندق جولان جيت صامته .

وجلس ميللر فى المقعد الخلفى يفكر وقد انطوى على نفسه تماما ، وتقبل اعتذار وولفسون فى صمت وهو ينظر إلى الحبر الذى يلوث أصابعه .

قال وولفسون وهويحاول ان يلطف الجو :

- سأقدم له مشروباً فى الفندق على حسابى .. هز ميللر رأسه وقال :

- كلا أشكرك إنك لست مجبراً على أن تفعل هذا .

- حسناً لا تزعج نفسك بما حدث فإن أحداً لن يعرف به ، إننا لم نسجل اسمك فى دفتر الأحوال ، وبهذا لن يكون هناك أى تقرير .

ورافقه إلى بهو الفندق وأوصله حتى المصعد ثم صافحه مودعاً ، وعندما أغلق باب المصعد خلفه تنهد وولفسون فى أرتياح وهو يقول لنفسه أنه سيفكر فى الأمر مرتين قبل أن يصطحب أى امرئ للاستجواب بعد ذلك .

كان على وشك مغادرة الفندق عندما سمع موظف الاستقبال يصيح باسمه ، كانت هناك مكالمة تليفونية له .

كان باجانو هو المتكلم وقد خاطبه قائلاً :

- رأيت ان أتصل بك . إننى اتصلت ببيت ميللر فى لومبارد وقد ردت على زوجته .

قطب وولفسون حاجبيه وقال :

- حسبت انه قال انها فى نيفادا .

- إنه كذب فى هذه النقطة ، إنها راحلة الى نيفادا الليلة ولكن ليس لزيارة بعض الأصدقاء ، أنها ذاهبة إلى رينو .

- لكى تطلقه ؟..

- نعم لو أنك سمعتها وهى تتكلم فى التليفون إنها ذات دلال كبير ، وقالت إن النبأ أوشك أن يحطمه وأنها لا تكثر به أبدا ، يبدو أنها من أولئك الغوانى اللاتى لا يهتمن إلا بأنفسهن .

قال وولفسون :

- يا للرجل المسكين !.. وقد عقدنا نحن الأمور له .

- هذا صحيح ، حسنا ، ظننت أن النبأ قد يهلك ، ستكون هذه آخر مرة تسمع فيها عن تشارلس ميللر .

- حسنا ياسى ، أشكرك ..

وأعاد السماعه مكانها وأجتاز قاعة الفندق فى طريقه الى باب الخروج حسنا .. كان الرجل صادقا إذن ، وهذا هو السبب فى عدم اكتراثه واهتمامه حتى قبل أن يطلب منه مرافقته .

وفى الخارج ، رأى الناس يجرون ويتجمعون \حول نقطة بالشارع ، وتوقفت السيارات فجأة وخرج القوم من محلاتهم يدفعهم الفضول ، وتملكه الفضول بدوره فمضى إلى حيث يتجمعون وألقى نظرة وهو واقف فوق الأقريز ..

وما كاد يفعل حتى أدرك لماذا أراد الرجل القصير غرفة فى الطابق الثانى عشر ..

كان طريقا على الأرض جثة هامدة مشوهة وغارقة فى الدماء .

ريتا المخلصة

عندما رأيت ريتا لأول مرة لم أشعر نحوها بميل كبير ، بيد أنكم لا ريب تعرفون كيف يكون الإحساس الأول .

دخلت ريتا محلنا هي وزوجها وحموها ، كانت امرأة قوية الجسم طويلة القامة وجميلة ، حتى وهي تلبس بنطلونا أسمر وقميصا رجاليا وصدورية من الصوف كانت تبدو أنثى وفاتنة والمرأة عندما تلبس حذاءا جديدا يبرز جمال كاحليها ورشاققتها فإنها تبدو جميلة حقا ، ولم ألق إليها غير نظرة فضولية طبعاً ولكن أخى الأصغر آل بقامته التى تبلغ سبعة أقدام لم يستطع أن يحول عينيه عنها ، كانت فى الثامنة والعشرين من عمرها ، ولعلها تكبر زوجها بسنة ولكنها أقوى منه بالتأكيد ، كانت توحى حين أول وهلة بأنها رجل من رجال الجبال يلبس ثياب الصيد ، ولكن كلما أمتعنت النظر كلما لاحظت قسماً جسدها المكثرة وثنائيا شفقيها العظيبتين وعينيها الباردتين الجريئتين والحرارة الشهوانية التى تنبعث من كيانها .. صفوة القول ما أن تمنع النظر إليها حتى تدرك أنها امرأة ذات شخصية جبارة .

وكنا قد رأينا الرجلين قبل ذلك فقد أقبلنا الى فى الخريف الماضى ،

وأظن أن من الأوفق أن أتكلم كلمة عامة عن المحل الذي نستغله فإننا على الحدود الكندية ولا يفصل بيننا وبين كندا إلا غابة كبيرة كثيفة وأراض لا قيمة لها ليس هناك أنهار أو مراكز حراسة أو حتى أي جمرك والحق أنه ليس هناك أي داع إلى الحراسة أو الجمرك فالغابة عبارة عن صخور وأراض لا يمكن أن يخطر لانسان عبورها ، وقد نكر لنا أبي أنه أثناء تحريم الخمر خطر لبعض المهربين أن هذه الغابة هي 'المكان المثالي لتهرب الخمر على ظهورهم ..

وقد حاول ثلاثة منهم .. ولم يعد منهم غير واحد اقتنع بعد نجاحه بسخافة الفكرة التي طرأت لهم ، فإن هذه الغابة من المستحيل اجتيازها أثناء الشتاء تماما ، أما باقي السنة فهي مليئة بالصخور الغربية والمستنقعات والأشجار المتشابكة والذعابين الضخمة والديبة والقطط الجبلية ، ليس فيها أي طريق حقا وإذا حدث وضل أحدهم فإنه هالك لا محالة ، وقد سمعت أن رجلين من الهنود الأصليين يقيمان في مكان ما منها وأنهما يبيعان جلود صيدهما في كندا ولكنني لم أرهما قط ..

ولم أضع قدمي في الغابة منذ كنت صبيا ولا يختلف إليها أي انسان عاقل ولم يفكر في أختراقها على الرغم من أن أسرتي تعمل في منذ أكثر من مائة عام ويختلف إلى محلنا بعض المزارعين ، وتدبر أمورنا بطريقة لا بأس بها ، ولم أكن أدري أن الأراضي التي لا قيمة لها سيكون لها أية أهمية ذات يوم ولكن ما أن انتهت الحرب حتى أقبل رجل ثري وأبدى رغبته في الصيد داخل الغابة وحاولنا أن ننثيه عن غرضه ولكنه قال أنه سبق أن أقتنص الاسود في أفريقيا وفي أماكن أخرى ، وأنهى بنا الأمر إلى أن بعناه بعض الأسلحة وطلبنا على وجه السرعة بعض أحذية الصيد ، وقد

تُكلف هذا كله ثمننا باهظا طبعا .

حسنا .. توغل الرجل في الغابة وخرج منها بعد أسبوع ومعه جلد دب ، وأبدي سروره بأنه اصطاد في هذه الناحية ، وكان رجلا ثثارا ، ولا ريب أنه أكثر من الكلام عن الأماكن التي ذهبت إليها فقد أقبل بعض الصيادين وأضطرونا أن نبيعهم ما يريدون .

ولم يلبث أن توافد الصيادون بعد ذلك واتفقوا أموالا طائلة في سبيل الحصول على جلد الدب أو القط الجبلي ، بل أن بعضهم كانوا يأتون في طائرة ويهبطون في جوف الغابة عند بحيرات خفية غنية بالأسماك ..

وكان هذا سببا في ثرائنا طبعا فقد رحنا نبيعهم الأسلحة والذخيرة وملابس الصيد الغالية ، وكانوا يقضون ليلتهم عندنا وعند عودتهم نعنئ بسياراتهم .

وكما سبق لى القول لابد للمرء أن يكون على جانب من الثراء ، وكنا نربح من هذه العملية في تلك الفترة أكثر مما نربحه بقية السنة .

وكان جيم هاريس ، حموريتا رجلا قصيرا ربعة القوام يخطو نحو الستين ، ولاريب أنه تزوج في سن كبيرة لأن ابنه الوحيد جيم كان في الثانية والعشرين من عمره ، وقد أقبل لأول مرة في الخريف الماضى ولكنهما أقبلا للمرة الثانية ، وكانت ريتا زوجة جيم الشاب تصحبهما ، وقد قدمت لهما وجبة شهية وأووا الى فراشهم فى وقت مبكر .

وفى صباح اليوم التالى ، وكان يوم اثنين استقلوا سيارتنا الصغيرة وانطلقوا فى جوف الغابة ، والواقع ان هناك بداية طريق يمتد نحو خمسة عشر ميلا وعرة داخل الغابة ، ولكن بعد هذا الطريق لابد لك من السير على

الاقدام ، وقد أراد آل فى البداية أن نمهد طريقا فى جوف الغابة ولكن آل بعيد عن الذكاء فقد أوضحت له أننا اذا مهدنا الطريق وقمنا بأية تحسينات أخرى فلن يأتى أصحابنا الاثرياء بعد ذلك لان الذى يجذبهم الى هذه الأماكن هو وعورتها ومجاهلها .

وكان المتفق أن تبقى أسرة هاريس أسبوعاً ، ولم نفكر فيهم بعد ذلك لحظة واحدة فيما عدا " آل " ، الذى كان يحلم بريتتا حتى بعد ظهر يوم الأربعاء عندما عادت السيارة الجيب مصدرة صوتاً صاخباً ، وكانت ريتتا هى التى تسوق فى حين كان زوجها طريحاً فى المقعد الخلفى ، كانت تبدو كما لو أنها أصيبت بالجنون بشعرها الاسود الطويل المنكوش والمتهدل فوق كتفها ، وكان وجهها شاحباً تعلوه الجروح وثيابها ممزقة وقميصها مصبوغاً بالدم .

وكان جيم غائبا عن وعيه ، كانت رأسه ووجهه فى حالة يرثى لها وكذلك كتفه وذراعه الأيمن ، كان شاحباً شحوب الموتى ، وخرجت " ريتتا " من السيارة وحملت زوجها بين ذراعيها كما لو كان طفلاً وذهبت به الى فراشه فى حين أسرعنا أنا لى اتصل بطبيب .

ولابد من نصف ساعة تقريباً لى يأتى الطبيب إلينا ، ذلك اذا حالقنا الحظ ووجدناه فى بيته ، والدكتور أش يقيم فى برستون ، واذا اتفق وكان غائبا أو كان لديه ما يشغله فلا بد ان نحاول الاتصال بالدكتور دانيس بليتل بات ، ولكن هذا الاخير لن يأتى ما لم يكن الامر بالغ الضرورة لأن ليتل بات تبعد عنا بنحو مائة وخمسين ميلاً .

وعلى الرغم من أن ريتتا كانت على حافة الاغماء فانها ظلت بجوار فراش

زوجها بينما كنا ننتظر مجئ الدكتور آش ، وقد تناولت طعامها وهي بجوار فراش زوجها ولم تشأ ان تغادره لحظة ، ومع ذلك فقد بقيت أنا وزوجتي وآل معها طوال الوقت ، واذا لم يكن هناك ما يفعله آل فانه كان يقضى وقته فى النظر الى ريتا كما لو كان طفلا ينظر الى شئ يعيده .

وعندما استطاعت ان تتمالك نفسها شيئا ما وأن تتكلم قالت لنا :

- أنهم نصبوا خيمتهم فى ممر صخرى يعرف باسم شيل جوت ، وأن هاريس الاب سمع أثناء الليل أصوات حيوانات ، فخرج ليستطلع الامر وجلس ريتا فى الخارج بجوار النار تنتظر عودته ، وعندما عاد تعثرت قدماء فانطلقت بندقيته وأصابته الطلقة فى بطنه ويجب ان يكون الإنسان مجنوناً لكى يطلق رصاصة وحوله كل هذه الصخور ، ولكنه تعثر وانطلقت الرصاصة صدفة وفجأة .

وكان جيم الابن راقدا فى فراشه ، وتسببت الطلقة فى انهيار بعض الصخور فوقعت فوق الخيمة وحطمتها ، وشل جوت تبعده بنحو عشرين ميلا عن نهاية الطريق ، حيث كانت السيارة الجيب ، ووجدت ريتا نفسها بين رجلين جريحين جراحا خطيرة ، وكان عليها ان تتخذ قرارا سريعا وخطيرا لانه لم يكن بمقدورها إلا إنقاذ واحد منهما فقط ولهذا حملت جيم الابن فوق كتفها وصارت به عشرين ميلا ، تمشي تارة وترتجف أخرى وراحت تصعد وتهبط طوال الليل حتى بلغت السيارة الجيب مع طلوع النهار ، ومن محاسن الصدف ان الحظ حالفها فلم تضل طريقها ..

وكان القرار ان الذى ستتركه سوف يموت حتما ، ان لم يكن بسبب الحيوانات المقترسة فبسبب جراحه وما كان فى استطاعة جيم الاب النجاة

وقد أصيب بجرح نافذ فى بطنه ثم ان جيم الابن كان زوجها .. وكانت تجربة فظيعة لها وهى تمشى طوال الليل فى جوف الغابة وعلى كتفها رجل يحتضر ، وان دل هذا على شئ فانما يدل على انها امرأة فائقة الرقة والطيبة والشكيمة فى الوقت نفسه ..

وأسرع آل جاك فارو وهو مزارع هندي يعرف مسالك الغابة خيرا من أى شخص آخر الى شل جوت (وسيتزوج من آل جاك فارو بمجرد ان تبلغ السادسة عشرة من عمرها ، والواقع ان اليس فارو فتاة جميلة ، ولكن حتى لو لم تكن كذلك فسيتزوجها آل لانها الفتاة الوحيدة فى المنطقة) ، وساعدت أنا وزوجتى ريتا بقدر الإمكان وحاولنا ان نقنعها بأن تأخذ قسطا من الراحة ، وكنت أفكر طوال الوقت فى أننى أخطأت فى حكمى عليها ، أعنى عندما رأيتها أول مرة وظننت أنها دميعة قاسية الملامح .

وحتى بعد أن أقبل الدكتور آش فى ساعة العشاء رفضت ريتا أن تغادر زوجها وبقيت جالسة فى مكانها فى نوع من الضباب منهوكة القوى زائفة البصر لانها لم تذق النوم ، وظلت تحقق فى زوجها لا تفارقه بعينيه .

واسترد وعيه مرة وقال له أنه يحبها كل الحب قبل أن يعطيه الدكتور حقنة منومة ، وتوسل الدكتور الى ريتا ان تصيب قليلا من النوم وان تستريح ، ورفضت ان تتناول أى عقار ولكن عندما جئناها بمرتبة فى الغرفة تمددت فوقها ونامت بضع ساعات وهى لاتزال محتفظة بملابسها الممزقة المصبوغة بالدم ، وعلى الرغم من أن الدكتور آش معروف بالوقاحة والغلظة فقد تأثر .

وكانت هذه أول مرة ارى فيها زوجتى تبكى ، واخذت الانجيل وراحت

تقرأ وتصلى من أجل ريتا .. ومن أجل زوجها ..

ويذل الدكتور آش كل ما فى استطاعته ولكن كان واضحا ان جيم الابن لا محالة هالك ، واتصلنا ببرستون تليفونيا لارسال عربة أسعاف على الرغم من أن الدكتور كان يؤمن بأن جيم لن يستطيع احتمال الرحلة ، وعندما سمعت ريتا حديثنا ، وكنا نظن أنها نائمة ، انهارت وراحت تصرخ بطريقة هستيرية وتتوسل الى الدكتور لكى ينقذ زوجها ، ولكن جيم الابن كان فى حالة ميئوس منها ، وكان قد فقد الكثير من دمه ومات فى صباح اليوم التالى ، ولم تبك ريتا عندئذ ولكن بدا عليها أنها متأثرة بالصدمة ، وبقيت جامدة بجوار فراش زوجها وهى ترد بالكاد على أسئلة الدكتور لتحرير شهادة والوفاة .

وفى منتصف النهار عاد آل وجاك فارووقالا انهما وجدا المكان الذى انطلقت فيه الرصاصة وأصابت جين الاب وانهما رأيا كومة من الاحجار والصخور وحطام الخيمة ، ولكنهما لم يجدا اثرا للجثة ، وليس هناك من يعرف مجاهل الغابة مثلهما ، وقد فتشا الوادى من أوله الى آخره ومن رأيهما ان دبا ربما عثر على الجثة فنقلها الى جحره ، وعندما عرفت ريتا النبأ فيما يتعلق بجيم الاب انهارت تماما لانها تركته هناك ، وأعتقدت انها أحست بالذنب ، وقد أعطاهما الدكتور عندئذ حقنة مهدئة وارقدتها زوجتى فى فراشها ، ولم يكن فى مقدورها ان تحمل الرجلين فى وقت واحد ..

وعندما نهضت ريتا فى النهاية كانت قد استجمت بعض الشئ واستبدلت ثوبها بثوب آخر ابرز مفاتنها ودهشت زوجتى وهى ترى ثوب ريتا الفاخر فى حين راح آل ينظر إليها كما لو كان يريد ان يأكلها ، وهم بأن يطلب منها أن

تتزوج لولا أن زوجتي اقنعتني بأن ينتظر لأن الوقت غير مناسب ، وكان يتعين علينا أن نعرف ماذا نفعل بجثة جيم الابن ، وقد اقترح الدكتور أش أن ندفنه في مدافن القرية ، وكنا قد ألقينا طلب عربة الأسعاف لأن الرحلة ستكون طويلة حتى بلدة برستون ، ورات ريتا أن هذه الفكرة طيبة لأن جيم كان يحب أن يدفن بجوار جثة أبيه ، وكان فارو يقوم بالوعظ واسرع آل فصنع صندوقا عاديا وهكذا واريثنا جيم هاريس الثرى في مقبرة القرية.

وكان الطبيب يتلف على العودة الي المدينة برستون في نفس الليلة ، وقررت ريتا أن ترحل معه فجأة ، وقالت لنا إنها ستبعث من يأخذ سيارة جيم الاب فيما بعد، ولكنها أصرت على صنع رخامتين لوضعهما فوق القبر تشهد بأن جيم الابن مات يوم ١٩ وإن جيم الاب مات يوم ١٦ ، وقضيت ما يقرب من ساعتين في إصدار التعليمات اللازمة لصانع الرخام في لينل باف...

وقبل أن ترحل ريتا اعطت عنوانها في المدينة لآل ووعدت بأن تعطيني خمسمائة دولار مكافأة لمن يأتي بجثة جيم الاب لكي يدفن بجوار ابنه .

وعلى الرغم من أنني كنت أعرف أن ريتا أصبحت تمقت محلنا فقد اغرورقت عيناى عند رحيلها وانتحبت زوجتي في صوت مرتفع في حين تملك آل الانفعال والاضطراب ، وعانقت زوجتي ريتا وأعطتها هذه الأخيرة ثوبا أنيقا ، وقال آل أنه مستعد أن يعيد إليها السيارة في أى وقت تطلب منه ذلك دون أى مقابل ..

واكتفيت أنا بأن شددت على يدها ورحلت أتساعل عن مدى تأثير هذه المفاجعة علينا ، وكان الدكتور قد دار بعريته لكي ينطلق بها في طريقه إلى

برستون عندما اقبلت عربة بوليس مسرعة هبط منها رجلان ألقيا القبض على ريتا بتهمة القتل ..

ولم أستطع لا أنا ولا الطبيب ان نصدق ذلك .

أعنى بعد كل ما عانتته ريتا كان هذا النبأ يبدو بعيدا عن التصديق ، أما آل فقد اضطرت أنا وزوجتي إلى العناية به لان ذلك الغبى اوشك ان يعتدى على رجلى البوليس ، ولكننا لم نلبث أن عرفنا كل شئ فيما بعد اثناء المحاكمة .

فيبدو أن جيم الاب كان بخيلا جدا على الرغم من ثرائه ، ولم يكن يتخلى عن ثروته إلا بشق النفس ولم يكن الابن يملك شيئا ، وكانت ريتا قد عانت من الفقر الكثير قبل ان تتزوج جيم الابن ، وادركت ان هذا الاخير لن يلبث ان يرث اباه بمجرد موته ، ورأت فى الصيد فرصتها فبينما كانوا يعسكرون فى الوادى قال لها جيم الاب انه خارج قليلا ، كان جيم الابن غارقا فى النوم ، وتبعت ريتا الرجل وأطلقت عليه رصاصة أصابته فى بطنه ، وفى نيتها أن تقول أن الأمر وقع قضاء وقدر ، ولكنها لم يكن من ابناء المنطقة ولم تتوقع تأثير الطلقة النارية عندما عادت لكى توقظ جيم الابن وتقول له ان اباه وقع له حادث وجدته يريزح تحت كومة من الاحجار ..

وأخذت ريتا تفكر بسرعة ، كانت قد درست قوانين الولاية قبيل ذلك وكانت تعرف ان زوجها اذا مات قبل ابيه فان ريتا لن تحصل على قلس واحد من اموال الاب ، وأنها إذا استطاعت ان تحتفظ بجيم الابن حيا وان تثبت ذلك فانه يرث كل شئ عندئذ وان الارث سوف يؤول إليها إن أجلا او عاجلا ، ولهذا السبب بذلت الجهد الكبير وحملت جيم الابن خارج الغابة

وجاءت به إلينا لكي تستشهد بنا عند موته ، أما الاب فقد ظنت أنه سيموت
بعد بضع ساعات ..

وماكان الأب ليعيش لو لم يره احد الرجلين الهنديين اللذين يقيمان في
المنطقة ، فقد كان موجودا على بعد نحو الف وخمسمائة متر وقد أسرع
الى مصدر الطلقة النارية لاستطلع الامر عندما سمعها ، وعثر على المصاب
وحمله إلى الوادى حيث كان احد الرجال يصطاد فى البحيرة على ظهر
طائرته المائية ، وحمل الرجل العجوز فى طائرته واسرع به الى مستشفى
كندى . ولم يكتف الاب بأن يذكر ما حدث له وإنما وقف على قدميه فى
الوقت المناسب لكي يدلى بشهادته ضد " ريتا " ، عند محاكمتها بعد ذلك
بأسبوعين .

ولا يزال آل يقول ان من السوء إرسال امرأة جميلة مثلها الى الكرسي
الكهريائى ، وحتى زوجتى حكمت بأن ريتا زوجة طيبة لا لشيء إلا لأنها
حملت زوجها خارج الغابة وحاولت ابقائه على قيد الحياة مهما كانت
بواقعها ، اما انا فلا ادري .. فانى على الرغم من اعجابى بسرعة بديعتها
وشجاعتها إلا أنتى أظن اننى لا استلطفها منذ البداية ..



لا تتزوج ساحرة

كان توم بارتين زير نساء ، وكان هذا فيه امرا طبع عليه منذ ولد .. كان رجلا موهوبا ، والموهبة يمكن أن تقود صاحبها الى الثراء والجاه ، أو إلى عديد من المشاكل والمتاعب ، ولكن موهبة توم بالذات قادتته الى المشاكل والمتاعب .

كان طويل القامة عريض الكتفين قوى الساعدين واليدين ، من ذلك النوع الذى يروق للنساء أن يضمهن الى صدره ، وكان الى جانب ذلك وسيما تبدو عليه الرجولة ، قسماته رقيقة مستقيمة ، وشعره أسود مجعد يتهدل بعضه فوق عينه اليسرى بصورة تجعله يبدو كما لو كان صبيا ..

كانت النساء تختلف الى متجره باستمرار ، ولا عجب فى ذلك فإنهن يقمن بشراء كل ما يلزمهن ، وكان متجر بارتين يبيع كل شئ تقريبا ، وقد تساعل البعض ما الذى حمل توم على أن يصبح تاجرا ، وقد كان هناك سببان لذلك ، أولهما أن عمه خلف له المتجر ، وكان على توم أن يعمل لكى يكسب قوت يومه ، والسبب الثانى كان بسيطا كذلك تقريبا ، فلم يكن هناك من عمل آخر يتيح له أن يتعامل مع الجنس اللطيف ستة أيام فى الأسبوع

وقد أحسن توم التصرف ، فقد راحت السيدات يختلفن إلى متجره كلما فكرن فى شراء شئ ما ، وكن يبقين فيه أطول مدة ممكنة ، أحيانا كان يوجد ستة منهن فى المتجر فى وقت واحد ، تنتظر كل منهن دورها ، ويلقن شتى الاسئلة عن مختلف البضائع ويثرثرن ويضحكن ، وكل منهن تحاول الاستئثار باهتمام صاحب المحل ، بل كانت تأتى اوقات تخف فيها حركة البيع ، ويتناهى الى الأسماع أثنائها ضحكات رقيقة صادرة من مؤخرة المتجر .

ولكن كان هناك صدع واحد فى حياة توم بارتين الغرامية ، ذلك أنه كانت له زوجة ، وكانت تدعى بيج ، وكانت تملك بيتاً ولم تكن دميمة ، وحين وقفت به أمام القسيس قال البعض أن وجهه خال من أى تعبير ، وأن من المحتمل أنه مخمور او لعله مسحور ، ولا ريب أن بيج كانت تملك عليه سلطانا كبيرا لكى ترغمه على الزواج بها ، ومهما يكن من أمر فهذا ما قيل وقتئذ .

كانت بيج حمراء الشعر متمالكة لاعصابها ، وقد تركت الحرية لتوم وكانت تعرف كل شئ عن مغازلاته فى المتجر ، ولكنها كانت تعرف أيضا أن مثل هذا الأمر ضرورى لنجاح التجارة ، ولهذا كان يسرها ويسعدها أنها تملكه شرعا ..

ولكن كان ذلك حتى ظهرت أودرى مانس ، ولم تظهر فجأة وانما شبت وكبرت ، فقد كانت تقيم فى المدينة طوال الوقت ، وتختلف الى المتجر من وقت لآخر لشراء أشياء صغيرة وتتبادل كلمات خجولة مع توم .. كانت فتاة خرقاء ولم يكن هناك أى ريب فى أنها كلفت به منذ سنوات ، ثم جاء يوم

وكما يفعل ساحر تحركت، عصا السحر فوقها فأصبحت امرأة ذات شعر
أسود فاحم وعينين فانتنتين براقنتين وبشرة رقيقة ملساء وتقاطيع جميلة
حلوة بحيث أصبحت أجمل وجه رآه توم في حياته .

وهفت أودرى إلى توم وأرادته لنفسها، ليس أثناء النهار لمجرد الغزل
والمداعبة ، وليس لمجرد الحصول على قلبه في مؤخرة المتجر ، وإنما
أرادته لكي تحتفظ به ليلا ونهارا وتعد طريقته في الاهتمام بها وإغفال غيرها
متى أقبلت وحملت كل من بالمدينة على الاعتقاد بأن المتاعب وشيكة
الوقوع .

تنبأ بذلك كل شخص فيما عدا توم نفسه ، كان لا يدرى من ذلك شيئا
لأنه كان يحب النساء ولا يفهمهن ، ولم يفهم مثلا السبب في وجود فأر في
محله فجأة ..

ولا نعنى فنرانا كثيرة أو غزوة فيرانية وإنما نعننى فأرا واحدا ، ولم يكن
فأرا وحيدا ولم يكن فأرا ضالا ، وإنما فأر بدا أنه يعرف ما يريد بالذات ،
ودهش توم في بادئ الأمر ، ثم لم يلبث أن انزعج ، فلم تكن بالمحل
مأكولات ، ثم انه لم يكن يبيع أى صنف من أصناف البقالة ، ومع ذلك فقد
أقبل الفأر وبكل جرأة وفي وضوح النهار ، وهذا أسلوب لا يقدم عليه أى فأر
عادى .. حتى توم نفسه رأى أن هذا تصرف عجيب من فأر بالذات ..

أقبل من جحر خفى ، وجلس في وسط المحل وحديق في توم ، وحقق توم
فيه بدوره وقد أذهلته المفاجأة ، فلم يفكر في الإمساك بمكنسة أو بسلاح ما
أو أن يفعل أى شئ ، وقف الرجل والفأر كل منهما يتفرس في الآخر
وأحس توم بإحساس غريب يسرى في عموده الفقرى كان إحساسا بعيدا

عن الخوف وبعيدا عن الذعر ..

كان هناك شئ غريب بخصوص هذا الفأر .. لم يكن الأمر منه مجرد جراءة وإنما كان أكثر من ذلك .

ولعل ذلك كان بسبب لونه .. فهو لم يكن سنجابيا ولا أسود ولا أبيض كذلك.. بل كان لون فريد في نوعه ، فقد كان أحمر جعله يتذكر .. ولكن كانت هذه فكرة سخيفة .

وكان ممكنا أن يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بأن يحدد كل منهما في الآخر الى الابد تقريبا ، ولكن رنين جرس الباب الأمامي جعل الفأر يبادر بالفرار ، وكانت مسز هارنجتون هي التي أقبلت ، وقد أمضت مدة طويلة بون حياء أو خجل لكي تشتري زوجا من الأحذية وطوال ذلك الوقت كان توم مرتاعا خوفا من أن يظهر الفأر فتندفع مسز هارنجتون خارجة من المحل وهي تصرخ ، فإنه إذا كان هناك شئ يخشاه الجنس الناعم ولا يطيق منظره فهو الفئران .. فأر واحد يمكن أن يتسبب في إفلاس محله .

تسبب الفأر في ارتفاع توم وخوفه ، خاصة وأن أكثر عملائه من الجنس اللطيف ، فإذا شاع أن بمحله فأرا فلن يكون لكل سحر توم أى تأثير على النساء ، ولن يحملهن علي دخول متجره بعد ذلك ابدا ، ولم تكن التجارة بالنسبة لتوم تجارة ، وإنما كانت لذة وممتعة .

بيد أن مسز هارنجتون انصرفت في أمن وسلام ، وتطلع توم حوله ، ولكنه لم ير للفأر أثرا في أى مكان ، وتملكه الانفعال ، ولم يلبث أن أحس بالأمل وهو يقول لنفسه إن الفأر ينصرف عندما لا يجد في المحل ما يأكله .

وعند الظهيرة حين كان أغلب أهالى المدينة يتناولون غداهم تسلت أودرى مانس ، إلى المحل وكان توم موليا ظهره للباب فلم يسمعها وهى تدخل ، ولم يسمعها وهى تجتاز الأرضية الخشبية فى حذر وتقف خلفه ، وتشب على أطراف أصابعها وتعضه فى أذنه اليمنى مداعبة .

بدأها قائلًا :

– أودرى ، لا يجب أن تفعلى هذا فى واجهة المحل فقد يرانا الناس .

وفى تلك اللحظة وأمام أودرى الحلوة الرقيقة نسى الفأر .

قالت :

– ليس هناك من يرانا .

وقبلته على الرغم من ذلك .

وكانت قبلة طويلة متباطئة ، وعندما انفصلت شفاتها عن شفتيه ونظرت

إليه كانت عيناها تتألقان وقالت :

– أوه .. إننى احبك كثيرا يا توم .. إنك وأنت تضمينى بين ذراعيك

القريتين تجعل الحياة تنساب منى .. أه لك وأنت تجرى بيدك على ظهري

وأه لك وأنت تقبلنى .. وتقبلنى .. لا يمكن لأية فتاة أن تقاومك أبدا !.

وفجأة تغيرت سحننتها فجحظت عيناها والتوى قمها وصاحت :

– فأر!.

نظر توم من فوق كتفيه ، فرأى الفأر فوق أحد الرفوف يحدق فيه بعينه

السمرأوين ، وقد انفصلت أستانه بعضها عن بعض فى تكشيرة كبيرة .

وأمسك توم بثقالة الورق الزجاجية التى فوق المكتب ورماه بها ، وكان

دقيقاً في تصويبه فأصابته الثقالة الفأر في جنبه فندت عنه صيحة تدل على
الذعر والألم ، وبينما كان ينظر إليه هو وأودرى وقد استولى عليهما الدهول
جرى الفأر بطول الرف وهو يجر رجله اليمنى الأمامية واختفى في مكان
خلف بعض أثواب القماش .

وود توم لو أن يأتى بسلم ويبحث عنه ويقتله بيديه العاريتين ولكن أودرى
كانت لا تزال ترتعد وتبكي ، فحملها بيديه إلى مؤخرة المحل ، وأغلق الباب
الفاصل ، خلفهما تاركاً الواجهة للفأر .

وراحت أودرى ترتجف بين ذراعيه القويتين ، ولو كان لدى توم ذرة من
الشك في كيف يكون رد الفعل عند النساء أمام الفئران فإن هذه الذرة من
الشك قد تبددت الآن ، فقد غاضب اللون عن وجه أودرى الجميل ، وراحت
عينها تدوران في كل مكان كما تفعل المرأة المجنونة ، وقالت هامسة في
ذعر :

- من أين لك هذا الفأر ؟

أجاب :

- لا أدري ، لم يكن بالمحل فئران قبل اليوم .

- أرجوك أن تتخلص منه .

- سوف أفعل .. سوف أفعل .

- إنه شيء فظيع .. إننى خائفة .

- حسناً .. لا داعي للخوف حقاً .

وداح يغطي وجهها بالقبلات وأردف :

– إن الفئران لا تهاجم الناس .

وما أن نطق بهذا القول حتى ندم عليه على الفور .

فماذا تفعل الفئران إذا لم تخف من الناس ، ثم إن هذا الفأر بالذات لم يبد عليه الخوف .

قال توم :

– اطرحي هذا الفأر عن ذهنك .. سوف أتخلص منه .

ولكنها لم تستطع أن تطرحه عن ذهنها ، ولم تكن القبلات ممتعة في موخرة المحل في ذلك اليوم .

قالت أودرى بعد أن خفضت عينيها شيئاً ما وتأملت الموقف قليلاً :

– إنه ليس فأراً عادياً .

وكانت قد أصبحت أشد هدوءاً ولكن عينيها السمراروين كان يبيو فيهما الخوف .

– ماذا تعنين ؟.

– اعنى أنه فأر مسحور ..

لم يكن هناك أى شك في أنها لا تزال خائفة ، وأراد أن يواسيها بالطريقة الوحيدة التي يعرفها ولكنها لم تدعه يلمسها، وحاول أن يسري عنها وأن يشير اهتمامها بحلية أو وشاح أو عقد أو أى شئ ولكنه لم يفلح ..

وعندما تسالت أخيراً من الباب الخلفى سره أن تنصرف وعاد إلى الواجهة ويبحث عن الفأر في حنرفنقل كل شئ فوق الرفوف وفحص

الاركان المظلمة ولكنه لم يجد شيئاً .

وفى تلك الليلة عاد توم الى بيته وهو يأمل أن يكون الفأر قد تألم من جرحه وغادر المكان الى الأبد ، وفى طريقة الى البيت عرج على الحانة التى اعتاد ان يختلف إليها ، واحتسى كأسين من الجعة مع بعض أصدقائه .

وعندما بلغ البيت أخيراً بحث عن ميج ليقبلها كعادته ، ولكن ما أن وقعت عيناه عليها حتى تملكته أكبر دهشة فى حياته الزاخرة بالأحداث ، وصاح يقول :

– هل جرحت يدك ؟

.. ذلك أن يدها كانت مربوطة بخمادة بيضاء .. يدها اليمنى .

.. ماذا حدث ؟

وأسرع إليها وحاول أن يفحص إصابتها ولكنها أقصته عنها وهى تقول مترددة :

– أوه .. إنه ليس شيئاً خطيراً .

ولكن يبدو أنها أدركت أنه لابد لها من تقديم تفسير ما فقالت :

– كنت أبحث عن شئ فى نوب النفاكهة فوق برطمان زجاجى جرح يدي .

برطمان زجاجى .. ؟ ثقالة زجاجية .. ؟

– متى حدث هذا ..

– كنت أبحث عن شئ لكى أتناو ..

فى الظهر اذن .. فى الوقت الذى اعتادت أودرى ان تزوره فيه ، كان هذا أمرا غير معقول لا يمكن أن يصدقه رجل مثل توم بارتين ، ولم يصدق أن الفأر مسحور ، ولكن ها هو الدليل على أكثر من ذلك .. على أن ميج تستطيع ان تكون فى مكانين فى وقت واحد .. فى جسد فأر وفى جسدها هى بالذات .

إنه إذن قد تزوج ساحرة ..

وأسرع الى الخارج لكى يغسل يديه ، وتناول طعامه وهو يحدق فى طبقه ويتسائل عما اذا كانت ميج تعرف فيم يفكر .. إن لديه فى محله فأرا له شعر أحمر فى لون شعر زوجته ، وقد بدا عليه الغضب وهو يراه يقبل أودرى مانس ، ولكن كانت ميج هى الغاضبة حقا .. وكل ما يقع للفأر يقع لميج هى الأخرى .

ومنذ تلك اللحظة تسلسلت أفكار توم نحو فكرة معينة ، فهو لم يكن يريد فئرانا فى محله ، وهذا أمر مؤكد ، سواء كانت فئرانا عادية أو مسحورة لها شعر أحمر ، فهما أمران كل منهما أسوأ من الآخر ، ويجب أن يتخلص منهما .

وبدا ذلك فى اليوم التالى ، أصبح يسعى الآن وراء مهمة خاصة ، وعندما عاد الى المحل لم يجد الفأر ولم يظهر بعد ذلك ، ولكن توم لم يشأ أن يترك أية فرصة ..

كان أول ما يتعين عليه عمله هو أن يضع طعاما مسموما ، فإن الفأر يجب أن يأكل حتى ولو كان مسحورا ، ثم ان لديه سلاحين .. بندقية ومسدس ..

وقد تزود بأدوات أخرى من بينها مكنسة .. وكانت آخر خطة رأى أن يلجأ إليها هي أن يستعير قطة مسز مكفرسون الكبيرة .

ولكن هذه الخطة الأخيرة فشلت فشلا ذريعا ، فما أن جاء بالقطة الى المحل ، وهي قطة كبيرة ضخمة حتى قوست ظهرها وتأهبت للانقضاض نحو الجناح الذى تقع به أدوات المطبخ ، ولكنها ما كادت تتقدم بضع خطوات حتى توقفت وقد وقف شعرها ، وترددت لحظة ، ثم بدا عليها الذعر وأطلقت صيحة كبيرة واندفعت هاربة من المحل لا تلوى على شئ..

عرف توم بارتين الحقيقة عندئذ ، وادرك أن أية قطة لن تستطيع الإمساك بفأرة ، وقال فى صوت مرتفع .

- ولكن يجب أن أفعل شيئا .

وبذل كل ما استطاع ، فوضع الطعام المسموم ، إلا أنه بقى كما هو لم يمسه الفأر ، ووقف الساعات الطويلة مترقبا ظهور الفأر وفى يده المكنسة ولكن الفأر لم يعطه أية فرصة ، ومع ذلك فقد كان يعرف معرفة وثيقة أن الفأر المنتقم ما زال مختبئا فى المحل .

وبقيت أودرى بعيدا عن المتجر أسبوعا كاملا ، وأحس توم بالغضب والوحدة ، ولكنه لم يحاول أن يسعى وراءها فى بيتها هى بالذات لأنه لم يشأ إثارة فضيحة ، إذ إن فى ذلك إفلاس محله إفلاساً تاما كوجود الفأر فى متجره ، ولهذا تجمل بالصبر ..

ووجدت أودرى أخيرا ما يكفى من الشجاعة لكى تعود إلى المحل يوم الاثنين التالى ، فقد طرقت الباب الخلفى فى خجل ، وكان توم يتربص سماع طرقة المحبوبة فأسرع إليها وأدخلها بعد أن تأكد أنه أغلق الباب الامامى .

- واندفع كل من العاشقين فى احضان الآخر ، وهمست أودرى تقول :
- أواه يا توم .. إننى افتقدتك كثيرا ..
- أجابها وهو يمطر وجهها بالقبلات التى تهفو إليها :
- وأنا أيضا .
- وقضيا معا فترة طويلة وبقي جرس الباب الأمامى صامتا ، ولم يأت أحد من العملاء ليقطع خلوتهما وسألته أخيرا :
- هل تخلصت منه ؟.
- ممن ؟ (وكان يعرف ماذا تعنى طبعاً) .
- من الفأر ؟.
- حسنا .. الحق أنى لا أدرى (وكان كاذبا) ، وأدركت أنه لم يتخلص منه فصاحت وقد راحت ترتجف من جديد :
- أواه يا توم يجب أن تتخلص منه .. إنك تفهم لماذا ؟ اليس كذلك ؟..
- وإذ هز رأسه معاندا عادت تقول :
- إنه يريد أن يعضنى .
- أودرى !..
- ويريد أن يعض وجهى على الخصوص .
- هز توم رأسه مرة أخرى ، وهو لا يريد أن يصدق مثل هذا الامر المروع وقال :
- لماذا يريد ذلك الفأر الخبيث أن يعض ذلك الوجه المليح .

- الا تعرف لماذا .. ذلك لأنه يريد أن يشوه وجهي ، وأن يمزق لحمي
شر ممزق بأسنانه الحادة حتى لا تراني بعد ذلك يا توم .. إن زوجتك
سحرت هذا الفأر ، وأرسلته هنا لكي يراقبنا ، ولكي يحميك ويهاجمني .

أدرك توم الأمر عندئذ .. كان هذا التعليل يبدو معقولا فإن ميغ تعرف
حبه للنساء الجميلات والنساء فحسب ، وأن ميغ لهكذا حقا ، فأنها لتود لو
أن يشوه وجه أودري .

ام - الأمر الآخر بخصوص الفأر ، وهو أن ميغ لم تسحر الفأر ، وإنما
هي التي سحرت نفسها فأرا فلم يذكره لأودري ، فلم يكن هناك داع
لافزاعها وأخافتها أكثر من ذلك ، وقالت تستحته :

- ألم تقتله ؟ ..

- حاولت ذلك .. بذلت كل ما في وسعي .. دسست السم وجئت بقط
وانتظرت وبيدي مكنسة ولكن لعله غادر المحل .

هزت أودري رأسها يائسة وقالت :

- كلا .. إنه لم يغادره ، إنه مازال هنا ، وهو الآن ينظر إلينا من مخبئة
إنني لا أريد أن يشوه وجهي ، لا أريد أن يعرضني .. لن يستطيع أن يرى
أحدنا الآخر بعد اليوم يا توم .

وصرخت كما فعلت من قبل وتقلصت ملامحها لفرط الرعب وهي تشير
بإصابعها ، وتحول توم في الوقت المناسب لكي يرى لمحة من الفأر
الأحمر الصغير وهو يجري ليختبئ خلف برميل .

اندفع توم يريد أن يمسه بيديه العاريتين ، وألقى البراميل والصناديق

بعيدا ولكن الفأر كان قد اختفى ، فعاد وهو يكاد يجن من الغيظ وقال :

- أودري .. ولكن الباب الخلفى كان مفتوحا وقد اختفت أودري .

بقي توم وحده يواجه مشكلته ، كان الفأر لا يزال موجودا ، وقد استقر منه العزم على البقاء ، وطالما هو موجود بالمتجر فلن تأتى أودري ابدا .

ولاول مرة بدأ يفكر حقا ، ولم يكن معروفا بالذكاء الحاد ولكن الحزن واليأس أجبراه على أن يفكر فى وضوح وجلاء ، ولم يلبث أن اهتدى إلى حل يخرج منه من ورطته ..

أصبح توم بارتين رجلا آخر .. رجلا يتحرك إلى العمل بعد أن اهتدى إلى الحل ، لم يكن بالمحل زبائن فى ذلك الوقت ، وحتى لو كان به بعض منهم لأخرجهم بطريقة ما وأغلق الباب خلف أودري ، ثم أخذ كيسا من الخيش وقطعة حبل وخرج من الباب الأمامى وتوقف لحظة ونظر إلى الخلف .

كان الفأر لا يزال موجودا خلف أكوام البراميل والصناديق وأثاث القماش ، يتحرك فى صمت ولعله كان يزعم العودة إلى البيت ، ولعله لا يزال جالسا يراقبه ، وهو يتساءل اين يذهب فى هذا الوقت من النهار وماذا ينوى أن يفعل .

وابتسم وقال محدثا نفسه :

- سوف ترى أيها الفأر الاحمر العجوز ، ابق مكانك لحظة وسوف ترى .

وعلق على الباب الزجاجى اللافتة الصغيرة أن المتجر مغلق ، ثم خرج وأوصد الباب خلفه وسلك الطريق العام حتى خرج من المدينة والكيس فوق

كتفه ، وانعطف الى اليمين واجتاز الحقول وبلغ الغابة أخيرا .

أصبح الآن صائدا ، ومشى ببطء وعيناه تبحثان فى نشاط وفى غير ضجر فى كل ناحية ، وهبطت أشعة الشمس الأخيرة فوق الأغصان ، ولكن توم كان متقرباً بالصبر ، فقد كان يبحث عن شئ معين ، وراح يبحث عنه بلا هوادة .

وتوقف فجأة وهو يبتسم ، وأخذ يمشى فى حذر أكثر ثم اندفع فجأة وقاومته فريسته وحاولت التخلص من أساورها ، ولكن توم كان الرابع ، فأغلق عليها الكيس وربطه مسرعا بقطعة الحبل قبل ان تهرب منه .

وأخذ طريق العودة بعد ذلك ، وكان طويلا ولم يره أحد عندما بلغ المتجر وكان الظلام قد جن ففتح الباب وتسلسل إلى الداخل ، ولم يكن بحاجة الى النور واكتفى بأن فك عقدة الحبل ، وأدار الكيس وأفرغ مابه على الأرض ثم بادر بالفرار إلى الخارج وأغلق الباب خلفه .

ووقف يبتسم فى ارتياح ورضاء تأمين ، وأخذ يصغى عند الباب لحظة ولكنه لم يسمع صوتا من الداخل ولم يقلقه الصمت ، وعاد الى البيت .. إلى ميج مرحا مسرورا ..

ولم يجدها بالبيت ، لم تكن فى أى مكان ، كان المطبخ شاغرا من صاحبه تماما .

وزيادة فى التأكد راح يبحث عنها فى الغرف الأخرى ويبحث عنها فى الفناء ، وناداهما بإسمها فى صوت خافت رقيق حتى لا يسمعه الجيران ولكنها لم ترد عليه .. ذهبت، ميج .. أختفت كما لو أن ..

ولم يملك نفسه عندئذ فصاح يقول فى زهو وانتصار :

- مرحى ! .. وراح يرقص .. ويدور حول نفسه ، وخرج من المنزل وعاد الى متجره .

وعند الباب الأمامي وقع منه المفتاح أكثر من مرة لفرط اضطرابه وانفعاله ، وأخيرا تمكن من فتح الباب وأدار مفتاح النور على الفور ، ورمش بعينه ومشى فى حذر فى أرجاء المحل حتى وقع على الشئ الذى كان يبحث عنه .

كان طوله نحو سبعة اقدم على الأقل وضخما كساعد توم المفتول ، وكان أسود اللون يبرق فى الضوء الباهت .. كانت حية كبيرة ضخمة ، راحت تنظر إليه فى كسل وتراخ وهى تدخل لسانها المجعد الاحمر وتخرجه متحدية .

وكانت هيئتها قد تغيرت قليلا ، ففى وسط جسدها الطويل كان هناك انتفاخ .. ولكنه لم يكن كبيرا .. وإنما بحجم الفأر .

تحدث الناس فى المدينة فقالوا إن ميچ بارتين قد ضاقت بمغازلات زوجها ففارقته ذات ليلة ، ولم يعرف أحد ما حدث بالذات فيما عدا توم ، إنه لم يكن يصدق ذلك لولا أنه عاش التجربة بنفسه ..

وتصرف توم بعد ذلك بحيث أضاع نفسه ، فسرعان ماتسى أحزانه وأشجانه ، وراح يغازل أودرى مانس علنا .

كان هناك بعض العقبات القانونية ، ولكن رجال القانون ذللوها له ، خاصة وأنه لم يعلن عن موت ميچ بارتين لأنه لم يكن هناك ما يثبت ذلك ولكنهم منحوا توم الطلاق ، وقد عولج الأمر بطريقة فاضحة بما فيها الكفاية ولكن توم كان شابا وسيما وكان يروق للنساء ، ولهذا استمر يزاول نشاطه

فى المتجر ، ثم تزوج ذات يوم بأودرى مانس .

ولكن كان من المستحيل أن يتغير توم ، ويندر أن يتغير أمثاله ، فقد بقيت أودرى فى البيت وقد أسعدها أنها أصبحت زوجته ، ولكن كانت هناك نساء أخريات يختلفن إلى المتجر كل يوم ، ثم حدث أن أقبلت واحدة بالذات ذات يوم ..

كانت تدعى إيلين هاردى ، كانت فتاة شقراء خجولة إلى حد بعيد ، وقد وقعت فى حبه كغيرها من الفتيات الأخريات .

وأقبلت ظهر ذات يوم والمحل شاغر من العملاء وقالت :

- مستر بارتين !..

- أهلا بك يا إيلين ..

- مستر بارتين ، منذ وقت طويل وأنا أتوق إلى عقد اللؤلؤ المعروض فى واجهة المتجر ، وأتساءل هل أستطيع أن أجربه وأن أرى كيف أبدو به .

- تستطيعين طبعاً أن تجربيه يا إيلين تعالى .. دعينى أضعه حول عنقك .. إن لك أجمل وأرق وانصع عنق رأيته فى حياتى يا إيلين .

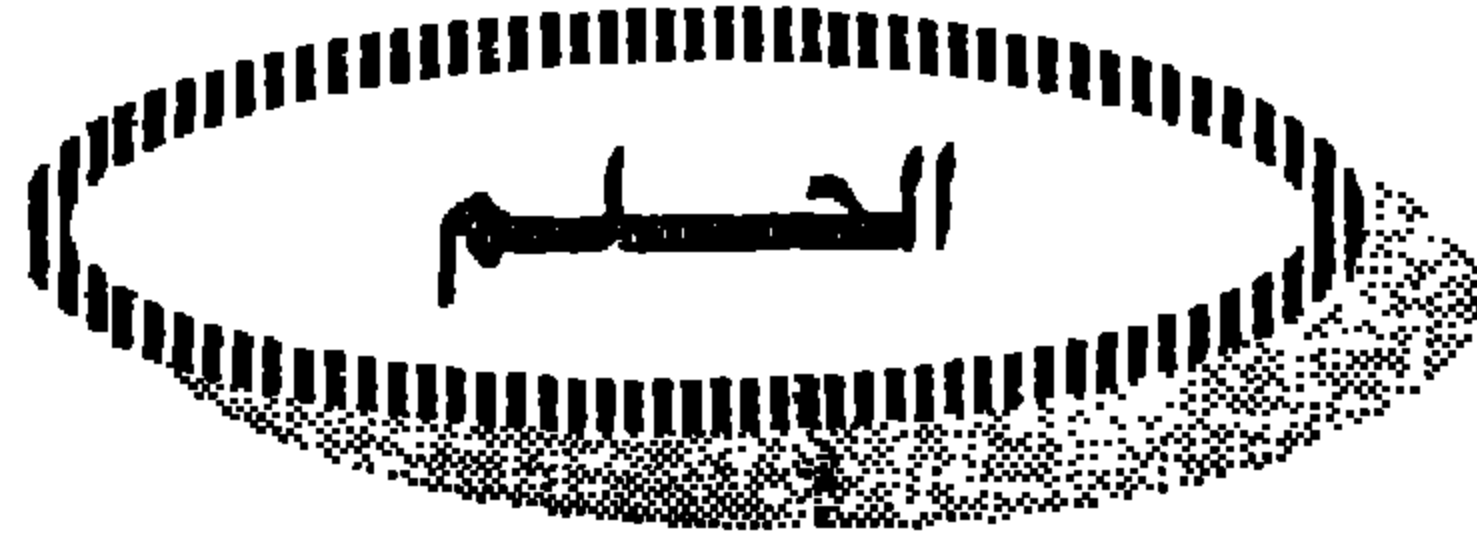
وفيما هو ينحنى لكى يطبع على عنقها قبلة صاحبت مذعورة وقد جحظت عيناه فرعاً ورعباً وهى تنظر إلى مكان بين صندوقين من القبعات خرجت منه حية سوداء ضخمة لامعة .

- إيلين !..

ولكن الفتاة قد ولت هاربة ، ولم يتبعها توم .

ولكنه بدلا من ذلك نظر الى الحية وإلى عينيها الصغيرتين وجسدها
المتموج البراق وكان كل ما نطق به هو أودرى ! ..
ثم خرج من المحل ولم يعد إليه بعد ذلك أبدا .





أرتكب هارى فينستر جريمة قتل ، وكانت جريمة بسيطة سهلة لم ينكشف أمرها ، فقد ماتت زوجته بيريل ووسدت الثرى وأعتقد الجميع أنها ماتت بالقضاء والقدر .. ولم يشتبه البوليس فيه على الإطلاق ، ولم يلمه أحد ، بل على العكس راح أصدقاءه القلائل يرثون له ويواسونه فى مصابه .. قضاء وقدر .. وها هو الآن بمفرده .. جريمة بسيطة سهلة .. ولهذا السبب بالذات نجحت ولكن الشئ الوحيد المزعج هو أن راح يرى أحلاماً فى منامه .

بدأ الحلم الأول بالجريمة نفسها .. وكان الأمر من الوضوح والدقة بحيث خيل له أنه يرتكبها للمرة الثانية .. ومع ذلك فقد كانت مرة واحدة كافية .

- هارفى .. يجب أن تشتري لى غسالة كهربائية جديدة بأية حال .

كان طلبها نوعاً من النواح كدأبها دائماً .. وترك الجريدة تتهاذى فوق ركبتيه ورفع عينيه نحو زوجته .. كانت واقفة تلوى يديها كمعادتها .. شاحبة الوجه حزينة السمات وخصلات شعرها الأشيب تتهدل فوق جبينها ، ومع أنها كانت قد بلغت الأربعين لتوها فقد بدت كما لو كانت تجاوزتها بكثير سألها فى غير رفقٍ :

وماذا جرى لغسالتنا ؟

- أنظر إليها ياهارفى .. إننى تكهربت اليوم مرة أخرى .. سوف يصعقنى التيار ذات يوم لامحالة .

وغادر مقعده على مضض وهبط إلى القبو .. بدت الغسالة فى الظلام ضخمة وعالية ، وكانت قديمة حقاً ، بل كانت بها أماكن تقشر فيها طلاؤها .

لم يكن هناك ريب فى أن بيريل لم تتولها بالعناية التامة .. وجلس القرفصاء لكى يفحصها وماكاد يفعل حتى رأى الخل على الفور ، فقد أستهلك السلك فى الموضع الذى يمر بأسفل الغسالة فى طريقه إلى المحرك .. كان الغطاء العازل قد جف وانقطع ، وهذا كل شئ .

ماذا يفعل ؟ .. هل يغير السلك ؟ .. كلا كل ما هناك أنه بحاجة إلى قطعة من الشريط العازل .

ومضى إلى دولاب الأدوات ويبحث فيه عن شريط عازل ولكنه لم يلبث أن تذكر أنه أراد أن يشتري من تاجر الخردوات لفافة صغيرة منه ولكن التاجر ذكر له أن ثمنها ٧٠ سنتاً قرفض شراءها وتساعل الآن هل تساوى حياة بيريل ٧٠ سنتاً لكى لا يصعقها التيار؟

وجاءه الرد على هذا السؤال عندئذ .

لم تكن إلا سبباً للانفاق لاداعى له .. ولو أنه أراد أن يطلقها فلا بد له من أن يربط لها نفقة شهرية ، وقد وجد الأمرين من نواحها وشكاواها .. أصلح لى هذا .. أشتري هذا .. إن هذا قد أصبح قديماً لا يصلح .. وهو الآن يريد الصمت .

وكانت استعداداته للجريمة بسيطة وسهلة .

كانت الغسالة غير موصلة بالتيار الكهربائي ، وقد أستطاع أن يعالج السلك في أمان فلوأه في الموضع المستهلك مراراً وتكراراً وراح يحكه بأصبعه في صبر وأناة حتى بدأ السلك النحاسي عارياً تماماً ثم ثبت السلك نفسه تحت الغسالة بحيث يلمس معدن الغسالة بالذات ثم أوصل التيار الكهربائي .. وبهذا فرغ من استعداداته .. وصب الماء على أرض الغرفة بعد ذلك بهذا أصبحت الأرض هي الأخرى على أتم الاستعداد .

كان الشبشب مستهلكاً تقريباً ، وفي هدوء وعناية كبيرة راح يحك النعل الجلدي المستهلك بأصبعه .. وظل يحكه إلى أن أحدث به ثقباً في حجم قطعة نقود من ذات الخمسة سنتات .

ولم يبق عليه بعد ذلك إلا أن يحمل زوجته على الهبوط لكي تجرب الغسالة وأبدت بعض الصعوبات كما تفعل في العادة دائماً .. ولكنه هتف بها .

- أظن أنني أصلحتها وأريد أن تجربها .

- لم يكن في قيتي أن أغسل اليوم .

- حسناً .. أريد أن تجربها على أية حال .. إذا لم تدر فسا فكر عندئذ

في شراء غسالة جديدة .

وأثارها هذا الوعد على الرغم من غموضه فأذعنت وهبطت .. ولاحظ عندئذ أن ساقها عاريتان .. وبدركة أوتوماتيكية لبست الشبشب وزدهنها مشغول بالغسالة .. ويبدو أنها لم تلاحظ أن قدمها كانت على اتصال مباشر بأرضية الغرفة .

وسأله :

- كيف حدث أن أبليت الأرض

فأجابها :

— ذلك إننى قمت ببيعى التجارب .

كان يعرف أن خطته قد لا تنجح بالتاكيد فإن الآلات الكهربائية غريبة ومن المحتمل ألا تقتلها الغسالة وأن تصيبها بجرح بسيط ومن المحتمل كذلك ألا تصيبها بأى شئ على الإطلاق .. ولكنه أحس بأنه محظوظ على كل حال وأن شيئاً ماسوف يحدث .

وراقبها وهى تقترب من الغسالة فى حذر كما لو كانت تشك فى شئ أو كما لو كانت خائفة .. كانت تضع قدميها فى الموضع المبطل من الأرض .. ومدت يديها لكى تلمس الغسالة كالطفل عندما يفحص هدية جديدة .. وأنتظر فى قلق وبدأ له الوقت طويلاً كالأبد .

ورأى عندئذ يديها تشبثت بحافة الغسالة ولاتستطيع التخلص منها .. واختلج جسدها وسرت به قشعريرة .. ماهذا الصوت الذى سمعه ؟ هل سمع صوت سريان التيار الكهربائى حقاً ؟ أم تراه سمع صوت بيريل ؟ هل سمع صرخة أو أنيناً ؟ أو لعلمها لم تصرخ .. هل صدر الصوت منه هو تعبيراً عن غبطته وابتهاجه ، أم ..

وظل يتساعل هكذا حتى أوقفه صوت آخر أكثر حدة وأشد مضاء .. صوت رنين يدوى فى أذنيه .. ومد يده لكى يبعد عنه الصوت ويوقفه .. وأوقفه أخيراً فقد عثرت يده على المنبة الكهربائى فوق الطاولة بجوار الفراش ، وبأصبع مضطربة ضغط على الزر وأسكت الرنين .

وفى هذه اللحظة بالذات كان قد صحا تماماً .. وظلت عيناه مفتوحتين وهو يهتز ويرتعش وجسمه يتفصد بالعرق .. وكان قد سحب المنبة حتى

آخر الحبل الكهربائي بحيث وقع على ركبتيه .. وأعادته فوق الطاولة وهو لا يزال يرتجف .. وجفف وجهه بكم بيجامته .

ولكن مر وقت طويل قبل أن يسترد جأشه تماماً .. وأشفق أن يصاب بركام فأعاد الأغطية فوقه وبقي تحتها حتى كف جسده عن الاضطراب .. وتذكر عندئذ أنه تصرف هكذا تماماً عندما رأى بيريل تموت فقد استولت عليه الرعدة وراح يرتجف كما فعلت هي تماماً .

لم يكن هذا غير حلم ؟ أليس كذلك ، ولكن كيف حدث أن حلماً يكاد يكون مطابقاً للواقع يؤثر فيه أكثر من الجريمة نفسها ؟ .. مهما يكن فقد انتهى الحلم وهو الآن سليم وفي أمان في دنيا الصحو .. وابتسم .

وانشغل هارفي طوال اليوم في عمله ولم يفكر في شيء آخر .. وفي المساء راح يشهد التليفزيون وقد بدأ له الآن أفضل بعد أن أصبح وحده لا يتشاجر مع بيريل على البرنامج الذي يريد كل منهما رؤيته ، وأخيراً أوى إلى فراشه .

ولم يخطر له أنه سيرى الحلم من جديد .

ولكنه رأى الحلم نفسه مرة أخرى .

- هارفي ، يجب أن تشتري لي غسالة كهربائية جديدة بأية حال .. حتى اللحظة التي تلوى فيها جسد بيريل عند سريان التيار فيه وصرختها .. أو صرخته هو .

وبعد ذلك ؟ .. نعم .. إنه صعد واستدعى الطبيب بصوت مفعم بالحزن والهول كما استدعى رجال البوليس وطالب عربة الاسعاف .

‘ وأقبل ضابطان من رجال البوليس بثيابهما الرسمية وقد أبديا نحوه رقة كبيرة شأن الرجال الذين رأوا في حياتهم الكثير .. وقال له أحدهما أن زوجته ماتت .

وأهتم الضابطان بكل شيء وبقي هارفى بجوار الباب وهو بادى الأنهيار ، ورأهم يحملون الجثة إلى محفة ويغطونها وينقلونها .. ورد على بعض الأسئلة بصورة آلية وهو مرهق تماماً .

وطول الوقت الذى أنتضى بين الموت والجنائز كان الرجل الوحيد الذى لم يظهر وداً أو رفقاً فى معاملته ضابط بوليس بثياب مدنية يدعى جودنى ، وهو رجل له وجه حاد وحاجبان كثيفان تحتها عيناان سوداوان ثاقبتان .

أوعز جودنى أن فينستر كان لابد يعرف أن الغسالة ليست فى حالة جيدة ورد عليه هارفى فقال له لو أن بيريل حدثه بذلك لأسرع باصلاحها .. ونطق جودنى باتهامه أخيراً فقال :

– لعلك تعلم يامستر فينستر أنتى أعتبر ماحدث أهماً لا جنائياً من ناحيتك .

فهل ينهار فينستر ؟ كلا بل قال فى لهجة عادية :

– ألا تظن أنتى فكرت فى ذلك أنا نفسى ؟ ألا تعتقد أنتى ألوم نفسى على ذلك .. إن هذه الغسالة قديمة جداً .

– أتفقنا يامستر فينستر .. اتفقنا .. إنتى لأحاول أن أجعل منها قضية بدت ملامح جودنى جافة جداً .. حادة كسلاح ماض ولمعت عيناه ببريق يومض بالحق وأردف :

- وإن كنت أود أن أجعل منها قضية فى الواقع .

- ما الذى يرن ؟ أهو جرس التليفون ؟ أو باب البيت ؟ .. حاول هارفى أن ينهض من مقعده وأن يفعل أى شئ بدلا من البقاء تحت هذه النظرة التى تنطق بالآتهام وبسط يديه لكى يتشبث بشئ يعتمد عليه .

ومن جديد وجد نفسه يناضل مع المنبه الكهربائى ويشد السلك إلى حد أنه أوشك أن ينتزعه من الحائط .. ولكنه الآن وقد عرف أنه صحا تماماً عرف أنه لابد له من أن يضغط على الزر لكى يوقف هذا الرنين المتتابع .

وانتفض جسده كله وتفصد بالعرق وراح يبحث عن مكان يلجأ إليه .. وغرق فى أغطيته كالحيوان فى وكرة ، واضطر إلى قضاء وقت طويل فى هذا الظلام الدافئ لكى يتقلب على اضطرابه وعرقه .

إهمال جنائى ..؟ ما هذا بالذات ؟ .. لعها التهمة التى يوجهونها إلى السائق الذى يتسبب فى حادث قتل أو إلى طبيب أهمل فى إجراء عملية جراحية .. ولكن كيف يوجهونها إليه ، هو هارفى فينستر ، لاحتفاظه بفسالة قديمة .. وضحك .

ولكنه أقدم على غلطة فى ذلك اليوم ، وكان لابد له من وقت طويل لكى يهتدى إليها .

وفى المساء راح يشهد التليفزيون .. بسحنة كئيبة ، وظل ينظر إليه حتى انتهى الأرسال .. وبقي لحظة طويلة وهو ينظر إلى لاشئ .. واستسلم أخيراً وغلبه التعب .. ومشى وهو يتعثر حتى فراشه وترك عيناه تنطبقان وهو يرجو أن لا يحلم .

- هارفى يجب أن تشتري لى غسالة كهربائية جديدة بأية حال زوجتك ماتت يامستر فينستر .. أهمال جنائى .. لأحاول أن أجعل منها قضية وإن كنت أود ذلك فى الواقع .

بعضهم يطرق الباب .. لقد حدث هذا من قبل .. أهو حلم ؟
لم يعرف من الذى يطرق الباب .. سبق السيف العذل ولا يستطيع الهرب الآن فإن البيت محاصر .

كيف حالك يامستر فينستر ؟ .. أجلس يامستر فينستر .
كان جودنى يبتسم عندما فتح له الباب .. ودخل خلفه رجلان آخران يرتديان الثياب الرسمية واختفيا داخل البيت لسبب لا يدرىه .. وجلس هارفى على حافة مقعده وهو بآدى الخوف .. وجلس جودنى فى مقعد هادئ مريح وأشعل غليونه فى بطة ثم قال :

- إننى تذكرت شيئاً يامستر فينستر .. شيئاً يتعلق بموت زوجتك .. وأعرف أنه شئ حقيقى لأننى تحققت منه من أناس كانوا حاضرين وقتئذ .. وقد أزعجنى ذلك فى البداية ولكننى لم أفهم معناه إلا الآن .. وهذا أمر غريب .. غريب جداً .

- وماهو .

- عندما وجدنا زوجتك كانت أرضية الغرفة مبتلة تماماً .. ألا تجد ذلك غريباً ، خاصة وأنه لم تكن هناك أية ثياب مبتلة ، كما أن حوض الغسالة لم يكن مبتلاً هو الآخر .. شئ واحد كان مبتلاً وهو الأرضية .

- لماذا لم يفكر فى ذلك الأمر ؟

- هل يمكنك أن تفسر ذلك يامستر فينستر ؟

حاول أن يتكلم ولكن خاذه النطق .. وماذا عساه كان يمكن أن يقول لو أنه أستطاع أن ينطق ؟

وأقبل أحد الضابطين من الغرفة فى هذه اللحظة وفى يده شيشب بيريل وأعطاه لجودنى وقال هذا الأخير :

- أذكر الآن أنتى فحصت جثة زوجتك وقد رأيت فى أسفل قدمها الأيسر أثر حريق بحجم قطعة نقود من فئة الخمسة سنتات .. نعم ، هذا هو الشيشب الذى كانت تلبسه .

وأدار جودنى الشيشب ونظر إلى النعلين ، كان الثقب موجوباً فى إحدى فردتيه بحجم قطعة النقود المذكور ، وقال :

- إنه ثقب غريب .. يبدو كأن بدا قد حكته محاولة توسيعه .. إن هذا الثقب أحدثته يد يامستر فينستر .. هذا واضح .

نطق فينستر ببضع كلمات .. بضع كلمات لاصوت لها ولاجوى منها .

وأعاد جودنى الشيشب للضابط وقال :

- أحتفظ به كدليل أتهام رقم ١ .

وعندئذ دخل الضابط الثانى ، وكان عائداً من القبول وقال :

- إثنى فحصت الفسالة جيداً يا جو .

- حسناً، وماذا وجدت ؟

- بصمات أصابع فينستر فى كل مكان منها .

!

أخذ جودنى نفساً من غليونه فى نشوة وغبطة فى حين قال الرجل :

- وجدت بصمات أصابعه فوق السلك المقطوع كذلك .

- حقاً ؟ .. حقاً ؟ .

- وقد عولج هذا السلك بطريقة غريبة جداً .

قال جودنى أظن أن هذا يكفى تماماً .. لتكن الغسالة دليل الاتهام رقم

٢ .. ماقولك الآن يامستر فينستر ؟ .. هل أنت مستعد للأعتراف ؟

- كلا .

وبدا كأن صدى صوته يرن فى نافوخته .. هل سمعه شخص آخر ؟

نهض هارفى مسرعاً من مقعده وحاول الهرب .. ولكن أحاطت به أياد قوية سمّرتة فى مكانه .. وفتح الباب العمومى ودخل منه بعض رجال البوليس وأحاطوا السوار بالمعصم .

وراح يناضل ويحاول الأفلات منهم وأخذ يتلمس ويتحسس وأمسكه أخيراً وتشبث به فى فراشه كما لو كان يتشبث بشئ حى .. ورأى عندئذ فى أرتياح كبير أنه صحا من نومه .. كان مستيقظاً والمنبة يرن .. وبحركه خرقاء وضع يده على الزر وضغط عليه .

ولكنه لم يتخل عن المنبه مع ذلك .. كان هذا الصندوق الصغير منقذه ، والسلك الموصول بالحائط كان شريط الأمان بالنسبة له .. وأخذ يربت بأصابعه على المنبة كما لو كان طفلاً صغيراً .. وبقي هكذا منتظراً أن يتلاشى الخوف المروع شيئاً ما وأزّ تجدد دنيا الواقع كل حقيقتها .

وما أفضع الخوف الذى يسببه له هذا الحلم ؟ .

على خلاف الأحلام السابقة لم يكتف باحياء الأحداث الماضية ولكنه استبق الأحداث الآن ، وابتدع أموراً لم تقع على الإطلاق ، فإن جودنى لم يربط بعد بين الأرض المبتلة والثياب الجافة ولكنه قد يفكر فيها فى المستقبل .. ومن المحتمل كذلك أن يأتى لفحص الشبشب والغسالة ، ولكنه سيهتم بذلك الآن .

ووثب من الفراش مرة واحدة وأعاد المنبه مكانه وارتدى ثيابه مسرعاً ثم هبط إلى القبو .. نعم كان الشبشب موجوداً .

ولم يدرك مدى حظه إلا فى هذه اللحظة بالذات فإن رجال البوليس لم يأخذوا الشبشب مع الجثة .. ولا ريب أنه وقع من بيريل وأسرع فوضعه فى جيبه .

ولم يكن من السهل معالجة الغسالة ، وقد تعب كثيراً حتى تمكن من وضعها أخيراً فى الصندوق الخلفى للسيارة لأنه لم يكن قوياً .. وانطبق غطاء الصندوق بما فيه الكفاية حتى لا يكشف مابه ويربط قبضته بمصد العربة ثم أنطلق بعيداً عن بيته .

ولم يكن يعرف غير مكان واحد ممكن وهو المقلب القديم الذى يقع فى آخر المدينة ، وكان عبارة عن هوة مملوءة بالماء يقال أن عمقها نحو تسعة أو عشرة أمتار .. ومضى إليها ، وكان المكان مقفراً فلم يره أحد وهو يخرج الغسالة من العربة ويلقى بها فى الهوة .. وأحدث .. سقوطها دوامة كبيرة ولم تلبث أن غرقت .. وطوح بالشبشب وراءها .

وفى صباح اليوم التالى وصل إلى البنك متأخراً عن مواعده ولكن أحداً لم يسأله عن السبب .. وأشتغل فى مرح وجد بحيث أنجز عمله قبل أن ينصرف

وكان شديد المرح لأنه أحس بأنه أصبح فى أمان طوال اليوم .

- هارى .. يجب أن تشتري لى غسالة كهربائية جديدة بأية حال .

نظرت بيريل إليه بعينين تنطقان بالاتهام ، ولم يكن صوتها باكياً شاكياً وإنما كان حاداً يقطر عداً .

صاح يقول :

- أننى برئ .

ولكن القاضى ذا الشعر الأبيض ، ولم يكن فى الواقع غير المفتش جودنى مرتدياً ثياباً سوداء ، اكتفى بأن نظر إليه شذراً وهو جالس مكانه ، وهز الأثنى عشر محلفاً رؤوسهم علامة الاستنكار .

- هذا شبشب زوجتك ، أليس كذلك ؟

وكان ممثل الاتهام هو جودنى نفسه كذلك ، وقد وضع الشبشب أمام أنفه وكانت به بطاقة مكتوب عليها دليل الاتهام رقم ١ .. ولم يكن بالشبشب أى نعل أو أى كعب .

وجاءت الغسالة الكهربائية بعد ذلك يحملها رجلان يلبسان ملابس الغطاسين ، وكان يعلوها الصداً وتغطيها الأوحال والأعشاب وقد علق عليها بطاقة مكتوب عليها (دليل الاتهام رقم ٢)

قال جودنى :

- مستر شيفستر .. أن بصمات أصابعك توجد بكل مكان من الغسالة ،

كما توجد على السلك كذلك .

صاح :

- هذا محال .. هذا فخ .

ولكن المحلفين الاثنى عشر لم يعبأوا به وإنما نهضوا كلهم مرة واحدة وقالوا فى صوت واحد :

- مذنب أ .

وصب القاضى من فينستر أن يقترب منه ولكن هذا الأخير لم يجد القوة على التحرك فجره رجال البوليس جراً . ومد القاضى جودنى أصبعه تحت أنف هارفى وقال :

- إنتى أحكم عليك بالموت .. فوق الكرسى الكهربائى .

ولكن دوى رنين فى هذه اللحظة فى مكان ما .. رنين بعيد ضعيف وحزين وحاول هارفى أن يصل إليه .. المنبه الكهربائى .. ويذهنه البائس أكثر من جسده المضطرب وثب من فراشه .

وأمسك به بطريقة ما .. مكعب معدنى صغير مستدير الأركان .. يصدر من داخله رنين حاد متواصل .

وداح يقول وهو يمطره بقبلاته :

- إنتى أحبك .. أحبك .

ولم يشأ أن يضغط على الزر ليقف الرنين ، فقد كان الصوت ثميناً جداً

وجميلاً جداً .. وداعياً إلى الأطمئنان .

سيتتهى الرنين حيث يتوقف من نفسه .. كلا .. كلا .. ضغط على الزر
أخيراً فى شئ من الأسف والخوف .. وعندئذ بدأ يرتجف من الصمت
المخيف الذى تلا ذلك .

مجرد حلم .. لم يكن كل ذلك غير حلم أيها الغبى فينسترو ألا تعرف الفرق
بين اليقظة وال المنام ؟ .. بين الحلم والحقيقة ؟ .. إنك الآن فى دنيا الواقع ..
أنتك فى فراشك وحدك .. لقد ماتت بيريل ولم يفتضح أمرك .. كلا ، حقاً .
أن الشبشب ليس .. هنا وكذلك الغسالة ليست موجودة .. وكذلك بيريل .. لا
يمكن أن يعودوا .

والكرسى الكهربائى ؟ .. إنهم سيسون حسابهم الآن معه .. ويقتلونه
فوق الكرسى الكهربائى .

من الذى سيفعل هذا ؟ .. من ؟ .. رجال البوليس .. إنهم لا يستطيعون
شيئاً ضده من غير دليل فإن الشبشب والغسالة والبصمات .. وقد حكموا
عليه بالأعدام .. سيرسلونه إلى الكرسى الكهربائى .. ولكن هل الكرسى
الكهربائى كرسى حقيقى ؟

أنه يبدو كما لو كان حقيقى ، ولكنه ليس بأكثر من حلم .. ولكن أيهما
الحلم ؟ .. لم يدرك .

- هارفى .. لابد أن تشتري لى غسالة جديدة .

نظر هارفى حوله لى يبحث له عن مفر .. عن أى مكان لى يهرب من

هذا الصوت الحاد الشرس .

- هارفى .. لابد أن تشتري لى غسالة جديدة .

وعندما حاول أن يجرى أوقفته القضبان .. لم تكن قضباناً حقاً وإنما كانت بعض حبال .. أسلاك كهربائية تحيط به كما تحيط خيوط العنكبوت بذبابة .

- لا تتفعل يا صاح .. لن تنتظر طويلاً بعد .

- دعونى أخرج .

- ليست هناك غير وسيلة واحدة للخروج من هنا .. بالنسبة لك أنت على الأقل .. من هذا الباب .

ولكن مازالت هناك خمس دقائق .. ألا يمكنك أن تنتظر ؟ لماذا تتعجل هكذا ؟ .. لماذا لاتريد الانتظار ؟ .

وأقبل يبحث عنه .. رجلان ضخمان .. صرخ وأسرع إلى آخر الغرفة .. ولكنهما جراه جراً وهو يصرخ ويحاول التخلص منهما .

وفتح باب القبو .. الباب المؤدى إلى قبو منزله بالذات .. ورأى الكرسي أو شيئاً أشبه بالكرسى ولكنه لم يكن فى الواقع غير غسالة كهربائية .
- كلا .

- دحك من الانفعال يا صاح فإنه لن يجديك شيئاً .. ستفعل الكهرياء الباقي وما عليك إلا أن تحتفظ بقدميك على هذه الأرض المبتلة .
- أنا برئ .

- هل يؤلمك القيد يا صاح ؟ إنهم إنما أوثقوك هكذا لكى تبقى مكانك إلى

أن يسرى التيار .. لاتقلق سيتم ذلك حالاً .

صاح :

- بيزيل .. هل هذا يؤلم ؟

ولكنها لم ترد .. فقد ماتت ووريت الثرى .

اليد اليسرى محكمة الوثاق .. أعطنى يدك الأخرى الآن .

كلا .. لا يجب عطاؤهم يده الأخرى .. أبعدهما عنهم بقدر المستطاع .

- هيا يا صاح .. إن يده الأخرى قوية يا صديقى .. عم يبحث ؟ .. وماذا يريد أن يمسك ؟ .. هل يحاول انتزاع هذا السلك من الحائط .. هيا يا صاح أترك هذا السلك .

- كلا .. كلا .. أعطنى المنبه .. إنه ملكى .

- أعطه أياه .

ما هذا بأكثر من حلم .. إنه مجرد حلم .. هذا منبهى .. أنا .. منبهى .

تأمل الملازم جودنى الجسد المتجدد وحاول أن يستخلص السلك الذى تشبثت به أصابع الميت بقوة .. وأفلق فى مشقة كبيرة فى فتح الأصابع وتخليص السلك الكهربائى ونظر إليه فاحصاً فى حين راح الآخرون يفتشون الغرفة .

وقال وهو يشير إلى السلك :

- إنه عار فى نهايته .

وقال أحد الرجال المدنيين :

- أن تشبث به فى قوة فى الوقت الذى سرت فى جسده الشحنة
الكهربائية .. كما لو كان يتشبث بالحياة .. ليس هذا انتحار .. أليس كذلك
ياجو ؟ .

قال جودنى :

- أنه موت بالقضاء والقدر .



(تمت)

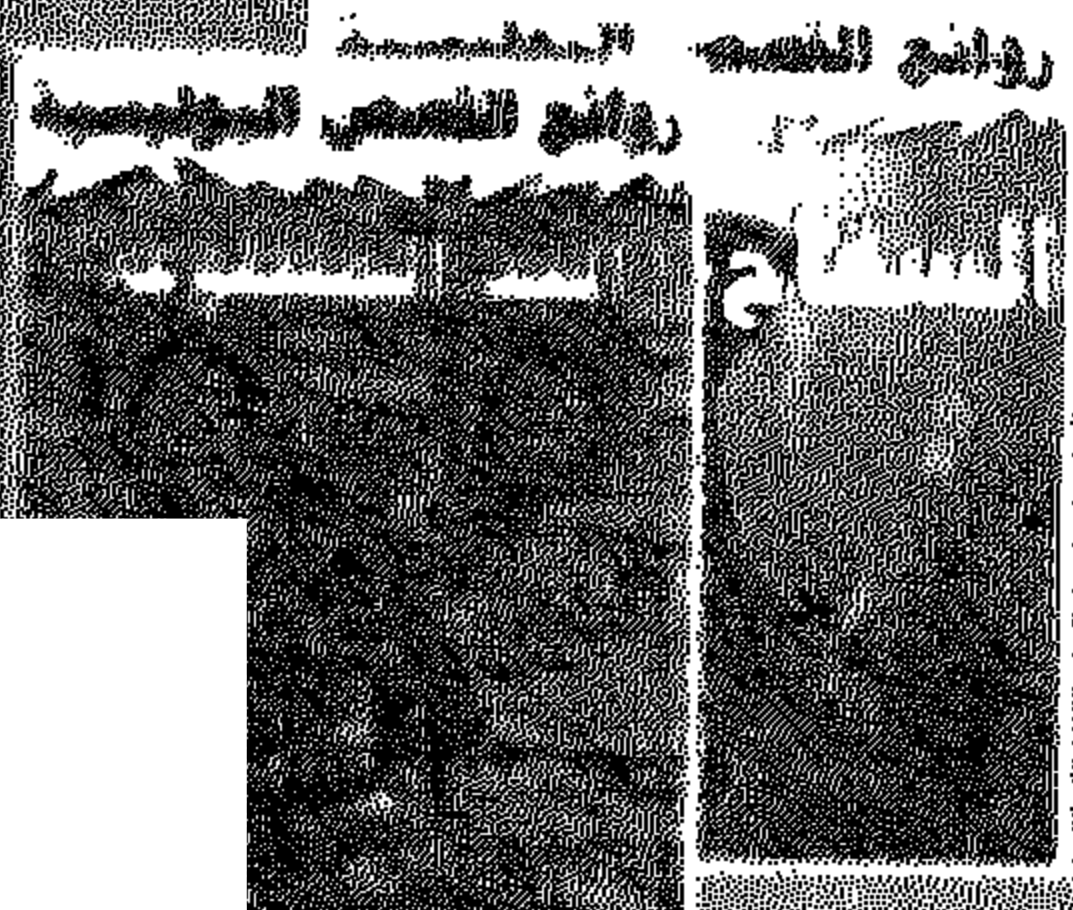
مكتبة

روائع القصص البوليسية

مكتبة

روائع القصص البوليسية

مكتبة



★ الباقوتة

★ الانتحار

★ السطاح

★ المقبرة

★ ذو الوجهيْن

★ مسرح العرائس

★ الميت الحي

★ اليوم المشنوم

★ اليد المقطوعة

★ رصاصة في الظلام

★ مكتوبة

بالسلطة العربية السعودية

مكتبة دار الثقافة

ت. ٥١١٢٠٧ الرياض

الطبعة الأولى: ١٤١٠/١٤١١ هـ

الطبعة الثانية: ١٤١٢/١٤١٣ هـ